مذكرة فرق ١

كلية العقيدة والدعوة

مقدمة في دراسة الفرق:

المسألة الأولى : مفهوم الافتراق

الافتراق في اللغة: من المفارقة وهي المباينة والمفاصلة والانقطاع، والافتراق أيضًا مأخوذ من الانشعاب والشذوذ ومنه الخروج عن الأصل، والخروج عن الجادة، والخروج عن الجماعة .

الافتراق في الاصطلاح: يطلق على أمور منها:

١- التفرق في الدين والاختلاف فيه ومن ذلك قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تفرقوا} ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ((تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو ثنتين وسبعين فرقة ...)) الحديث ، وهو الاختلاف في الأصول ، واختلاف التضاد المؤدي إلى التنازع في الدين والخروج عن السنة.

٢- الافتراق عن جماعة المسلمين وهم عموم أمة الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة وهم أهل السنة ومن كان على هديهم بعد ظهور الافتراق فمن خالف سبيلهم في أمر يقتضي الخروج عن أصولهم في الاعتقاد أو الشذوذ عنهم في المناهج أو الخروج على أئمتهم أو استحلال السيف فيهم فهو مفارق.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : ((من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)) أخرجه الإمام أحمد في المسند .

وقوله عليه الصلاة والسلام: ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فليس من أمتي ومن خرج من أمتي على أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاش من مؤمنها ولا يفي بذي عهدها فليس مني)) أخرجه مسلم .

فذكر عليه الصلاة والسلام أصنافاً من المعارضين الخارجين:

١- المفارقون للجماعة.

٢- الخارجون عن الطاعة.

٣- الخارجون عن الأمة بالسيف.

٤- المقاتلون تحت راية عمية وهو الأمر الأعمى الذي لا يستبين وجهه، ومنه قتال العصبية، والفتنة، والقوميات، والشعارات، والحزبيات ونحوها.

كل ذلك داخل في المفارقة والأهواء .

وكل هذه الأصناف وجدت في أهل الافتراق والأهواء والفرق المتفرقة المفارقة .

وبناء على هذا يكون التعريف الشامل للافتراق هو : الخروج عن السنة والجماعة في أصل أو أكثر من أصول الدين الاعتقادية أو العملية المتعلقة بالقطعيات، أو المتعلقة بالمصالح العظمى للأمة ، ومنه الخروج على أئمة المسلمين بالسيف .

المسألة الثانية: الألفاظ الدالة على معنى الافتراق كثيرة منها: ورد في اللغة العربية ألفاظ كثيرة تدل على معنى الافتراق فمن ذلك :

١- (حد): الحدّ: المنع والفصل بين الشيئين، والحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، والمحادّة: المعاداة والمخالفة والمنازعة، أصلها: أن يكون هذا في حدٍّ وناحيةٍ، والآخر كذلك .

٢-(خَصَمَ): الخصومة: المنازعة، يقال: "خاصمته، مخاصمة، وخصاماً، وخصومة": نازعه، وأصلها: أن يكون كلٌ منهما في خُصم (أي: جانبٍ وناحية) .

٣- (خَلَفَ): الاختلاف والمخالفة:ضد الاتفاق والموافقة،وهو: أن يأخذ كلُّ واحدٍ طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله.

٤- (خَلَل): "الخلل": التفرّق في الرأي، تشبيهاً بالفُرجة الواقعة بين الشيئين، وكأنهم حين تفرق رأيهم وقعت بينهم فُرَجٌ.

٥- (زال): أصل معناه: الدلالة على تنحّي الشيء عن مكانه، يُقال: "زال الشيءُ، زوالاً": فارق طريقه جانحاً عنه

٦- (شَتَّ): "الشَّتُّ" التفرّق والتزيّل، يقال: "شَتَّ الشيءُ": تفرّق، و"شَتَّه": فرّقه، و"قومٌ شَتّى": فِرَقاً من غير قبيلة، و"جاءوا أشتاتاً": متفرِّقي النظام، و"جاءوا شَتَات شَتَات": متفرِّقين.

٧-(شَجَرَ): يقال: "شجر بينهم الأمرُ، شُجُوراً": اختلف أو اختلفوا وتنازعوا فيه، و"الشِّجار" و"المشاجرة" و"التَّشاجر": المخالفة والمنازعة .

٨-(شَذَّ): "الشَّذُّ" و"الشُّذوذ": الانفراد والمفارقة، يقال: "شذّ عن القوم، يشُذُّ، ويشِذُّ": انفرد عنهم وفارقهم وخرج عن جماعتهم أو جمهورهم.

٩-(صَدَعَ): "الصَّدْع": الانفراج في الشيء، يقال: "صدع الأمرَ": أي فصله، و"تصدَّع القومُ": تفرّقوا، و"بينهم صَدَعات في الراي والهوى": تفرُّقٌ.

١٠-(عزَل): "العَزْلُ": التنحية والإمالة، و"الاعتزال": تجنّب الشيء بالبدن أو بالقلب، يقال: "عزل الشيءَ،

يعزِله": نحّاه في جانب، و"المِعزال": الذي لا ينزل مع القوم في السفر، ولكن ينزل ناحيةً.
فهذه بعض المصطلحات المشابهة لمصطلح الافتراق ، وكلها تدل على الاختلاف والمباينة والمفارقة والمنازعة والخروج عن صف أهل السنة والجماعة.

المسألة الثالثة: أنواع الافتراق : الافتراق الذي نهى عنه الشرع له أنواع، هي:

الأول : مفارقة دين الإسلام الذي أوجب الله على جميع البشر اتباعه، ولا يقبل من أحدٍ سواه، وذلك بعدم الدخول فيه أصلاً ، أو تركه إلى أديان الكفر وملل الباطل.قال تعالى : { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ } ، تبينها الآية الأخرى: {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا} .
وهذا النوع من الافتراق يُحمَد فيه المؤمنون على ثباتهم على الإيمان وعدم وقوعهم في التفرّق، ويُذَمّ فيه الكافرون الذين وقع منهم التفرّق والمفارقة لدين الله ، ويستحق به المؤمنون الأجر والجنة، ويستحق به الكفار الإثم والتأبيد في النار.
الثاني : تفرق أهل الكفر فيما بينهم إلى ملل شتى، وهذا النوع من الافتراق يُذم فيه جميع المفترقين المختلفين، ويستحقون به الإثم والخلود في النار.
قال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} فهذه (السبل) تشمل اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل، وقال سبحانه : {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ }، ففي قراءة: (فارقوا)، أي: تركوا دينهم وخرجوا عنه، والآية تشمل كل من فارق الدين الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من: مشرك ووثني ويهودي ونصراني.
وقال تعالى :{ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ } : أي: تفرق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به، ودعاهم إليه، وجعلوا أمرهم في أديانهم قِطَعاً، وتقسموه بينهم، فهذا يهودي، وهذا نصراني، وهذا مجوسي، وهذا عابد مَلَك أو وثن.
الثالث : تفريق الدين؛ وذلك بالإيمان ببعضه والكفر ببعضه الآخر، أو العمل ببعضه وترك العمل ببعضه الآخر، وهذا النوع يُذم فيه أهله كلّهم، قال تعالى: {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك }، فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف، والتفريق: إن كان بالإيمان ببعض الدين والكفر ببعضه الآخر فهو كفر، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ

وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا }.
وإن كان تفريق الدين بالعمل ببعضه أو اعتقاده دون بعض لنوع شبهةٍ أو تأويل فهو ابتداع. قال تعالى:{ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} ، وقال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }

وهذا التفريق: قد يكون في القَدْر تارة، وقد يكون في الوصف: إما في الكمّ وإما في الكيف، كما قد يكون في التنزيل تارة، وفي التأويل تارة أخرى. فإن الموجود له حقيقة موصوفة، وله مقدار محدود، فما أنزل الله على رسله قد يقع التفريق في قَدْره، وقد يقع في وَصْفه.

فالتفريق في القدر: مثل قول اليهود: نؤمن بما أنزل على موسى: دون ما أنزل على عيسى ومحمد، وهكذا النصارى في إيمانهم بالمسيح دون محمد.

فمن آمن ببعض الرسل والكتب دون بعض فقد دخل في هذا، فإنه لم يؤمن بجميع المنزل، وكذلك من كان من المنتسبين إلى هذه الأمة يؤمن ببعض نصوص الكتاب والسنة دون بعض؛ فإن البدع مشتقة من الكفر.

وأما التفريق في الوصف: فمثل اختلاف اليهود والنصارى في المسيح، هؤلاء قالوا: إنه عبد مخلوق، لكن جحدوا نبوته وقدحوا في نسبته، وهؤلاء أقروا بنبوته ورسالته، ولكن قالوا: هو الله، فاختلفت الطائفتان في وصفه وصفته، كل طائفة بحق وباطل.

ومن هنا تتبين الضلالات المبتدعة في هذه الأمة، حيث هي من الإيمان ببعض ما جاء به الرسول دون بعض، وإما ببعض صفات التكليم والرسالة والنبوة دون بعض، وكلاهما إما في التنزيل وإما في التأويل

الرابع: تفرّق أهل الدين الواحد الصحيح إلى فِرق وشِيع وأحزاب، يضلل بعضها بعضاً ويعاديه ويبغضه، وهذا النوع من التفرق يُذَم فيه المفترقون كلهم ، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ }، وقال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ}، وقال تعالى: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ }.

الخامس: مفارقة جماعة الحق، وهم الذين كانوا مع الأنبياء ومتبعين لهم، ثم من سار بسيرهم، وثبت على موافقتهم بعد ظهور الخروج عن منهج الأنبياء ومنهج أتباعهم، وهذا النوع من الافتراق يُذم فيه المفارقون المفترقون كلهم.

وقد جاءت أدلة كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر فيها بلزوم الجماعة، ويحذر من مفارقتها، وينهى عن ذلك أشدّ النهي، ويذكر في ذلك الوعيد الشديد لمن فعله.

المسألة الرابعة : الفرق بين الافتراق والاختلاف:

وهذ أمر مهم جداً، وينبغي أن يُعنى به أهل العلم؛ لأن كثيراً من الناس خاصة بعض الدعاة وبعض طلاب العلم الذين لم يكتمل فقههم في الدين، لا يفرقون بين مسائل الخلاف ومسائل الافتراق، ومن هنا قد يرتب بعضهم على مسائل الاختلاف أحكام الافتراق، وهذا خطأ فاحش أصله الجهل بأصول الافتراق، ومتى يكون؟ وكيف يكون؟ ومن الذي يحكم بمفارقة شخص أو جماعة ما؟

من هنا كان لا بد من ذكر بعض الفروق بين الاختلاف والافتراق، فمن ذلك:

الفرق الأول: أن الافتراق أشد أنواع الاختلاف، بل هو من ثمار الخلاف، إذ قد يصل الخلاف إلى حد الافتراق، وقد لا يصل، فالافتراق اختلاف وزيادة، لكن ليس كل اختلاف افتراقا، وينبني على هذا الفرق الثاني.

الفرق الثاني: وهو أنه ليس كل اختلاف افتراقا، بل كل افتراق اختلاف ، فكثير من المسائل التي يتنازع فيها المسلمون هي من المسائل الخلافية، ولا يجوز الحكم على المخالف فيها بالكفر ولا المفارقة ولا الخروج من السنة.

الفرق الثالث: أن الافتراق لا يكون إلا على أصول كبرى ، أي أصول الدين التي لا يسع الخلاف فيها، والتي ثبتت بنص قاطع أو بإجماع ، أو استقرت منهجا عمليا لأهل السنة والجماعة لا يختلفون عليه، فما كان كذلك فهو أصل ، من خالف فيه فهو مفترق، أما ما دون ذلك فإنه يكون من باب الاختلاف.

فالاختلاف يكون فيما دون الأصول مما يقبل التعدد في الرأي ، ويقبل الاجتهاد ، ويحتمل ذلك كله ، وتكون له مسوغات عند قائله، أو يحتمل فيه الجهل والإكراه والتأول ، وذلك في أمور الاجتهادات والفرعيات ، ويكون في بعض الأصول التي يعذر فيها بالعوارض عند المعتبرين من أئمة الدين، والفرعيات أحيانا قد تكون في: بعض مسائل العقيدة التي يتفق على أصولها،ويختلف على جزئياتها ، كإجماع الأمة على وقوع الإسراء والمعراج، واختلافهم وتنازعهم في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه فيه، هل كانت عينية ، أو قلبية؟

الفرق الرابع : أن الاختلاف قد يكون عن اجتهاد وعن حسن نية ويؤجر عليه المخطئ ما دام متحرياً للحق ، والمصيب أكثر أجراً، وقد يحمد المخطئ على الاجتهاد أيضاً ، أما إذا وصل إلى حد الافتراق فهو مذموم كله،بينما الافتراق لا يكون عن اجتهاد، ولا عن حسن نية ، وصاحبه لا يؤجر بل هو مذموم وآثم على كل حال، ومن هنا فهو لا يكون إلا عن ابتداع أو عن اتباع هوى، أو تقليد مذموم، أو جهل مطبق.

الفرق الخامس: أن الافتراق يتعلق به الوعيد وكله شذوذ وهلكة ، أم الاختلاف فليس كذلك، مهما بلغ

الخلاف بين المسلمين في أمور يسع فيها الاجتهاد ، أو يكون صاحب الرأي المخالف له مسوغ أو يحتمل أن يكون قال الرأي المخالف عن جهل بالدليل ولم تقم عليه بالحجة ، أو عن إكراه يعذر به قد لا يطلع عليه أحد ، أو عن تأول، ولا يتبن ذلك إلا بعد إقامة الحجة.

المسألة الخامسة: نشأة الفرق.

تاريخ نشأة الفرق كان بعد مقتل عثمان رضي الله عنه حيث حدثت بدعة الخوارج والتشيع نتيجة لمقتله رضي الله عنه ، ثُمَّ فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ حَدَثَتْ الْقَدَرِيَّةُ فِي آخِرِ عَصْرِ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ؛ وَجَابِرٍ؛ وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ الصَّحَابَةِ. وَحَدَثَتْ الْمُرْجِئَةُ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ. وَأَمَّا الْجَهْمِيَّة فَإِنَّمَا حَدَثُوا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ التَّابِعِينَ بَعْدَ مَوْتِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، ثم تتابعت الفرق بعد ذلك في الظهور، وإليك الحديث عن تاريخ ظهور هذه الفرق بشكل مختصر :

أولًا: الخوارج : أَوَّلُ خِلافٍ وَافْتِرَاقٍ وَقَعَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ، كَانَ من (الخوارج)، وكان افتراقهم في العاشر من شهر شوال، سنة سبع وثلاثين؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلَ مَنْ فَارَقَ جَمَاعَةَ المسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ : (الخوارج) المارِقُونَ. وَقَدْ صَحَ الحَدِيثُ فِي الخَوَارِجِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَشَرَةِ أَوْجُهٍ؛ خَرَّجَهَا مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ؛ وَخَرَّجَ البُخَارِيُّ مِنْهَا غَيْرَ وَجْهٍ. وَقَدْ قَاتَلَهُمْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ علي بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي قِتَالِهِمْ، كَمَا اخْتَلَفُوا فِي قِتَالِ الْفِتْنَةِ يَوْمَ الجَمَلِ وصفين)، (وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا ذَكَرَ الخَوَارِجَ الحَرُورِيَّةَ؛ لأَنَّهُمْ أَوَّلُ صِنْفٍ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ خَرَجُوا بَعْدَهُ؛ بَلْ أَوَّلُهُمْ خَرَجَ فِي حَيَاتِهِ، فَذَكَرَهُمْ لِقُرْبِهِمْ مِنْ زَمَانِهِ).

ثانيًا : الشيعة : وَبَعْدَ ظُهُورِ بِدْعَةِ الخَوَارِجِ ، ظَهَرَتْ بِدْعَةُ (الشيعة) في مقابلها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وَالصَّحَابَةُ – رَضِوَانُهُ عَنْهُمْ – كَانُوا أَقَلَّ فِتَنًا مِنْ سَائِرِ مَنْ بَعْدِهِمْ؛ فَإِنَّهُ كُلَّمَا تَأَخَّرَ الْعَصْرُ عَنِ النُّبُوَّةِ، كَثُرَ التَّفَرُّقُ وَالخِلَافُ. وَلِهَذَا لَمْ تَحْدُثْ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بِدْعَةٌ ظَاهِرَةٌ، فَلَمَّا قُتِلَ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ حَدَثَتْ بِدْعَتَانِ مُتَقَابِلَتَانِ : بِدْعَةُ الْخَوَارِجِ الْمُكَفِّرِينَ لِعَلِيٍّ، وَبِدْعَةُ الرَّافِضَةِ الْمُدَّعِينَ لِإِمَامَتِهِ وَعِصْمَتِهِ، أَوْ نُبُوَّتِهِ أَوْ إِلَاهِيَّتِهِ).

وبالنظر إلى البِدَعِ وتَطَوَّرِهَا، يَتَّضِحُ أَنَّ الشَّيعَةَ لَيْسُوا سَوَاءٌ وهم ثلاث طوائف: غالية وسبابة ومفضلة ، يقول شيخ الإسلام : " وَلَمَّا أَحْدَثَتْ الْبِدَعَ الشِّيعَةُ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – رَدَّهَا، وَكَانَتْ ثَلَاثَةَ طَوَائِفَ غَالِيَةٌ وَسَبَّابَةٌ وَمُفَضِّلَةٌ، فَأَمَّا الْغَالِيَةُ فَإِنَّهُ حَرَّقَهُمْ بِالنَّارِ، فَإِنَّهُ خَرَجَ ذَات يَوْمٍ مِنْ

بَابِ كِنْدَةَ فَسَجَدَ لَهُ أَقْوَامٌ، فَقَالَ مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: أَنْتَ هُوَ اللَّهُ، فَاسْتَتَابَهُمْ ثَلَاثًا، فَلَمْ يَرْجِعُوا، فَأَمَرَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ بِأَخَادِيدَ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ فِيهَا النَّارَ، ثُمَّ قَذَفَهُمْ فِيهَا.

وَقَالَ: لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا ... أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوْت قَنْبَرًا

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ عَلِيًّا أَتَى بِزَنَادِقَتِهِمْ فَحَرَّقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَلَوْ كُنْت لَمْ أُحَرِّقْهُمْ «لِنَهْيِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنْ يُعَذَّبَ بِعَذَابِ اللَّهِ» ، وَلَضَرَبْت أَعْنَاقَهُمْ لِقَوْلِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» .

وَأَمَّا السَّبَّابَةُ فَإِنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ ابْنَ سَبَأٍ يَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، طَلَبَ قَتْلَهُ، فَهَرَبَ إلَى قرقيسا وَكُلِّمَ فِيهِ، وَكَانَ عَلِيٌّ يُدَارِي أُمَرَاءَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَمَكِّنًا، وَلَمْ يَكُونُوا يُطِيعُونَهُ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ.

وَأَمَّا الْمُفَضِّلَةُ، فَقَالَ لَا أُوتَى بِأَحَدٍ يُفَضِّلُنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إلَّا جَلَدْته حَدَّ الْمُفْتَرِي وَرُوِيَ عَنْهُ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ ثَمَانِينَ وَجْهًا أَنَّهُ قَالَ: " خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ ".

ولم تكن الشيعة الأولى تنازع في أفضلية أبي بكر وعمر على علي رضي الله عنهم ، وإنما كانوا يفضلون عليا على عثمان؛ لذا كان شريك بن عبد الله يقول: إن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ، فقيل له ، تقول هذا وأنت من الشيعة ؟ فقال: كل الشيعة كانوا على هذا ، وهو الذي قال هذا على أعواد منبره ، أفنكذبه فيما قال؟ .

ثَالِثًا: الْقَدَرِيَة: ظَهَرَتْ فِي أواخر عصر الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم؛ في حدود سَنَةِ سَبْعِينَ مِنَ الهِجْرَةِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ ابْتَدَعَهُ بِالْعِرَاقِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ، يُقَالُ لَهُ: (سوسن) ، فأخذها عنه معبد الجهني ، وأخذها عن معبد غيلان الدمشقي، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلُهُمْ بِإِنْكَارِ القَدَرِ السَّابِقِ الصَّحَابَةُ أَنْكَرُوا إِنْكَارًا عَظِيمًا، وَتَبَرَّءُوا مِنْهُمْ حَتَّى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: أَخْبِرْ أُولَئِكَ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ مِنِّي بُرَآءُ. وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ، مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ .

رابعا: المرجئة. "المرجئة نُسِبُوا إِلَى الإِرْجَاءِ، وَهُوَ التَّأْخِيرُ ؛ لِأَنَّهُمْ أَخَرُوا الْأَعْمَالَ عَنِ الْإِيمَانِ، وأصلُ قَوْلِ (المرجئة): « أَنَّ الإِيمَانَ لَا يَذْهَبُ بَعْضُهُ وَيَبْقَى بَعْضُهُ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا؛ فَلَا يَكُونُ ذَا عَدَدٍ : اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ لَهُ عَدَدٌ، أَمْكَنَ ذَهَابُ بَعْضِهِ، وَبَقَاءُ بَعْضِهِ. بَلْ لَا يَكُونُ إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا).

والإرجاء بهذا المِعْنَى كَانَ مَعْرُوفًا فِي أَوَاخِرِ القَرْنِ الْأَوَّلِ. فَقَدْ أَخْرَجَ البخاري في الصحيح بِسَنَدِهِ، عَنْ زُبَيْدٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ) عَنِ المرجئة، فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (سِبَابُ المسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ) .

وقَدْ أَحْدَثَ مَذْهَبَ الإِرْجَاءِ (قَوْمٌ قَصْدُهُمْ جعَل أَهْلِ القِبْلَةِ كُلِّهِمْ مُؤْمِنِينَ، لَيْسُوا كُفَّارًا؛ قَابلُوا الخَوَارِجَ، وَالمعْتَزِلَةَ، فَصَارُوا فِي طَرَفِ آخَرَ)

خَامِسًا: الجَهْمِيَّةُ: هُمْ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ مَقَالَةَ التَّعْطِيلِ فِي الإِسْلامِ.

قال شيخ الإسلام : "أَوَّلُ مَنْ حُفِظَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ هَذِهِ المقَالَةَ فِي الْإِسْلَامِ؛ - أَعْنِي أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ حَقِيقَةٌ، وَأَنَّ مَعْنَى اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوْلَى وَنَحْوَ ذَلِكَ - ، هُوَ الجَعْدُ بْنُ دِرْهَم، وَأَخَذَهَا عَنْهُ الجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ؛ وَأَظْهَرَهَا، فَنُسِبَتْ مُقَالَةُ الجَهْمِيَّةِ إِلَيْهِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الجَعْدَ أَخَذَ مَقَالَتَهُ عَنْ أَبَانَ بْنِ سَمْعَانَ، وَأَخَذَهَا أَبَانُ عَنْ طَالُوتَ ابْنِ أُخْتِ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ، وَأَخَذَهَا طَالُوتُ مِنْ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ السَّاحِرِ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَصْلُ قَوْلِهِمْ هَذَا مَأْخُوذٌ عَنْ المشْرِكِينَ وَالصابئة ؛ من البراهمة، والمتفلسفة، وَمُبْتَدِعَةِ أَهْلِ الكِتَابِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الرَّبَّ لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ ثُبُوتِيَّةٌ أَصْلًا، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَعْدَاءُ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الكَوَاكِبَ، وَيَبْنُونَ الهيَاكِلَ لِلْعُقُولِ، وَالنُّجُومِ، وَغَيْرِهَا . وَهُمْ يُنْكِرُونَ فِي الحَقِيقَةِ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلًا، وَمُوسَى كَلِيمًا؛ لِأَنَّ الخُلَّةَ هِيَ كَمَالُ المحَبَّةِ المسْتَغْرِقَةِ لِلْمُحِبِّ).

سَادِسًا: المُعْتَزِلَةُ: ظَهَرَتْ قَبْلَ الجَهْمِيَّة، وكان بداية ظُهُورِهَا بِسَبَبِ مَسْأَلَةِ الفَاسِقِ المِلِّي، الَّتِي فَارَقَتْ لأجلها الخوارج الأُمَّةَ قَبْلَ ذلك.

وامْتَازُت المعْتَزِلَةُ بِقَوْلِها بِالمنْزِلَةِ بَيْنَ المنْزِلَتَيْنِ ؛ لَمَّا أَحْدَثَ ذَلِكَ وَاصِلُ بنُ عَطَاء ، وعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ . وَكَانَا هُمَا وَأَصْحَابُهُمَا يَجْلِسُونَ مُعْتَزِلِينَ لِجَمَاعَةِ المسْلِمِينَ، ولمجْلِسِ الإمامِ الحَسَنِ البَصْرِيُّ رحمه الله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عَقِبَ حَدِيثِهِ عَنِ الخَوَارِجِ: « فَجَاءَتْ بَعْدَهُمْ (المعْتَزِلَةُ) - الَّذِينَ اعْتَزِلُوا الجَمَاعَةَ بَعْدَ مَوْتِ الحَسَنِ البَصْرِيُّ وَهُمْ: عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، وَوَاصِلُ بْنُ عَطَاءِ الغَزَّالُ وَأَتْبَاعُهُمَا — فَقَالُوا: أَهْلُ الكَبَائِرِ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ -كَمَا قَالَتْ الخَوَارِجُ ، وَلَا تُسَمِّيهِمْ لَا مُؤْمِنِينَ وَلَا كُفَّارًا؛ بَلْ فَسَاقٌ ننزلهُمْ مَنْزِلَةٌ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ، وَأَنْكَرُوا شَفَاعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ، وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَهَا. قَالُوا: مَا النَّاسُ إِلَّا رَجُلَانِ: سَعِيدٌ لَا يُعَذِّبُ، أَوْ شَقِيٌّ لَا يُنَعَمُ، وَالشَّقِيُّ نَوْعَانِ: كَافِرٌ وَفَاسِقٌ، وَلَمْ يُوَافِقُوا الخَوَارِجَ عَلَى تَسْمِيَتِهِمْ كُفَّارًا).

سابعا: الكلابية: نَبَغُوا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله، وهُم اتباع « أَبِي مُحَمَّدٍ ؛ عَبْدِ الله بْنِ سَعِيدِ بْنِ كُلَّابِ البَصْرِيُّ الَّذِي صَنَّفَ مُصَنفَاتِ، رَدْ فِيهَا عَلَى الجَهْمِيَّةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَغَيْرِهِمْ وَهُوَ مِنْ مُتَكَلِّمَةِ الصِّفَاتِيَّةِ، وَطَرِيقَتُهُ يَمِيلُ فِيهَا إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ؛ لَكِنْ فِيهَا نَوْعٌ مِنَ البِدْعَةِ، لِكَوْنِهِ أَثْبَتَ قِيَامَ

الصَّفَاتِ بِذَاتِ اللَّهِ، وَلَمْ يُثْبِتْ قِيَامَ الْأُمُورِ الاخْتِيَارِيَّةِ بِذَاتِهِ؛ وَلَكِنْ لَهُ فِي الرَّدْ عَلَى الجَهْمِيَّةِ – نَفَاة الصِّفَاتِ وَالعُلُو – مِنْ الدَّلَائِلِ، وَالحُجَجِ، وَبَسْطِ القَوْلِ، مَا بَيَّنَ بِهِ فَضْلَهُ) .

ثامنا: الكرامية: انْفَرَدُوا بقول مُنْكَرٍ فِي مُسَمَّى الإِيمَانِ، وَقَالُوا: الإِيمَانُ (هُوَ القَوْلُ فَقَطْ فَمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ كَامِلُ الإِيمَانِ لَكِنْ إِنْ كَانَ مُقِرًّا بِقَلْبِهِ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مُكَذِّبًا بِقَلْبِهِ ، كَانَ مُنَافِقًا مُؤْمِنًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَهَذَا القَوْلُ هُوَ الَّذِي اخْتَصَّتْ بِهِ الكَرَامِيَّةُ، وَابْتَدَعَتْهُ. وَلَمْ يَسْبِقْهَا أَحَدٌ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ. وَهُوَ آخِرُ مَا أُحْدِثَ مِنْ الأَقْوَالِ فِي الإِيمَانِ)

تاسعا: الأَشْعَرِيَّةُ : تُنْسَبُ إلى أبي الحسن الأشعري، وكانَ قَدْ بَيَّن « مِنْ فَضَائِح المعتزلة، وتناقُضِ أَقْوَالِهِمْ، وَفَسَادِهَا ، مَا لَمْ يُبَيِّنَهُ غَيْرُهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ، وَكَانَ قَدْ دَرَسَ الكَلَامَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الجُبَّائِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَ ذَكِيًّا، ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ عَنْهُمْ، وَصَنَّفَ فِي الرَّدْ عَلَيْهِمْ، وَنَصَرَ فِي الصِّفَاتِ طَرِيقَةَ ابْنِ كُلَّابٍ، لِأَنَّهَا أَقْرَبُ إِلَى الحَقِّ وَالسُّنَّةِ مِنْ قَوْلِهِمْ، وَلَمْ يَعْرِفْ غَيْرَهَا، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ خَبِيرًا بِالسُّنَّةِ وَالحَدِيثِ، وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ . أَمَّا أَتْبَاعُهُ (الأَشْعَرِيَّةُ) فَ (الأَغْلَبُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ مرجئة فِي (بَابِ الأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ). جَبْرِيَّةٌ فِي (بَابِ القَدَرِ)؛ وَأَمَّا فِي الصِّفَاتِ فَلَيْسُوا جهمية مَحْضَةً، بَلْ فِيهِمْ نَوْعٌ مِنْ التَّجَهُّم .

عَاشِرًا: الصُّوفِيَّة: ظَهَرُوا في القَرْنِ الثاني الهجري؛ " وَأَوَّلُ مَا ظَهَرَتْ الصُّوفِيَّةُ مِنْ البَصْرَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ بَنَى دويرة الصُّوفِيَّةِ بَعْضُ أَصْحَابِ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ، وَعَبْدُ الْوَاحِدِ مِنْ أَصْحَابِ الحَسَنِ. وَكَانَ فِي البَصْرَةِ مِنْ الْمُبَالَغَةِ؛ فِي الزُّهْدِ، وَالْعِبَادَةِ، وَالخَوْفِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ " .

وبعد: فهَذَا تَارِيخ موجز لنشأة الفِرق، وظُهُورِهَا.

ومعرفة الداعية لهذا التاريخ، يُساعده على التَّعَامُلِ مَعَ الفِرَقِ؛ بِعِلْمٍ، وَفَهْم، وإدراك لمواطن الخلل، ومواضِعِ الثَّغَرَاتِ فيها.

المسألة السادسة: أسباب الافتراق.

قد أخبر الصَّادِقُ المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ وقوع التفرقِ فِي أُمَّتِهِ، فَقَالَ: "لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً، لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ. وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةَ وَاحِدَةً. قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي " أخرجه الترمذي.

وقَدْ وَقَعَ التفرُّقُ كَمَا أَخْبَرَ بوقوعِهِ مَنْ لا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى؛ رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ولوقوعه أسباب، أجملها في الآتي:

السَّبَبُ الأَوَّلُ: الغلو

الغلو في سائر استعمالاتِهِ يَدلُّ على الزيادة، ومجاوزة الأصل الطبيعي، أو الحد المعتاد. فأصْلُ الغلاء: الارتفاع، ومجاوزة القَدْرِ في كُلِّ شيء . فهو "فهو المبالغة في الشيء، والتشديد فيه، بتجاوز الحد".

والغلو في الدين من الأدواء التي أصابت الأمم قبلنا. والدين الإسلامي قد نهى عن الغلو بكافة صوره وأشكاله، وحذرنا أن نسلك مسلك من كان قبلنا من أهل الكتاب، وغيرهم؛ قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} . والغلو يُصيب الفكر، وبإصابته، تنشأ البدع، ويقع التفرق، كما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام.

يقول ابن أبي العز : " فَالْخَوَارِجُ وَالشِّيعَةُ حَدَثُوا فِي الْفِتْنَةِ الْأُولَى، وَالْقَدَرِيَّةُ وَالْمُرْجِئَةُ فِي الْفِتْنَةِ الثَّانِيَةِ، وَالْجَهْمِيَّةُ وَنَحْوُهُمْ بَعْدَ الْفِتْنَةِ الثَّالِثَةِ. فَصَارَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا – يُقَابِلُونَ الْبِدْعَةَ بِالْبِدْعَةِ، أُولَئِكَ غَلَوْا فِي عَلِيٍّ، وَأُولَئِكَ كَفَّرُوهُ! وَأُولَئِكَ غَلَوْا فِي الْوَعِيدِ، حَتَّى خَلَّدُوا بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأُولَئِكَ غَلَوْا فِي الْوَعْدِ حَتَّى نَفَوْا بَعْضَ الْوَعِيدِ أَعْنِي الْمُرْجِئَةَ! وَأُولَئِكَ غَلَوْا فِي التَّنْزِيهِ حَتَّى نَفَوُا الصِّفَاتِ، وَهَؤُلَاءِ غَلَوْا فِي الْإِثْبَاتِ، حَتَّى وَقَعُوا فِي التَّشْبِيهِ! وَصَارُوا يَبْتَدِعُونَ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْمَسَائِلِ مَا لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ، وَيُعْرِضُونَ عَنِ الْأَمْرِ الْمَشْرُوعِ".

السبب الثاني: الثقافات، والدِّيَانَاتُ الأَجْنَبِيَّة

والمقصود بها غير المسلمين من اليهود والنصارى والمنافقين، وغيرهم. فقد أثر أرباب الأديان والمذاهب في عقائد الفرق، وكانوا سببا في انحرافهم. ويبدو هذا واضحا في الفرق الآتية:

أ– أولاً: فرقة الرافضة

الذي ابتدع دين الرافضة كان يهوديا يقول عبد القاهر البغدادي : (وقال المحققون من أهل السنة: إن عبد الله بن سبأ كان على هوى دين اليهود، وأراد أن يُفْسِدَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ دِينَهُم بتأويلاته في علي وأولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى الله ، فانتسب إلى الرافضة ...) . الفرق بين الفرق للبغدادي .

ب ثانياً: الفرق المعطلة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم: اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم. كان الجعد بن درهم هذا – فيما قيل – من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة

والفلاسفة... فكانت الصابئة – إلا قليلا منهم – إذ ذاك على الشرك وعلماؤهم هم الفلاسفة... ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب: أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة. وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته وأخذها الجهم أيضا – فيما ذكره الإمام أحمد وغيره – لما ناظر " السمنية " بعض فلاسفة الهند – وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات – فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين وإما من المشركين.).

ج- ثالثاً: القدرية

والقدرية أصلها من النصارى، وقيل من المجوس والصحيح الأول. فقد أخرج أبو بكر الفريابي في (كتاب القدر)، وغيره، بإسناد صحيح، عن الإمام الأوزاعي ، قال: أَوَّلُ من نطق في القدر : رجل من أهل العراق، يقال له: سوسن، كان نصرانيا، فَأَسْلَمْ، ثُمَّ تَنصَّرَ ، وَأَخذٌ عَنْهُ مَعْبَدُ الجهني، وأخذ غيْلانُ عَنْ مَعْبَدٍ.
فهذه أصول الفرق التي دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ من غير المسلمين، من ديانات أخرى، أصابها التحريف والتبديل.

السبب الثالث: تعريب كتب الفلاسفة

عربت كتب الفلسفة اليونانية، وغيرها، في عهد الخليفة العباسي؛ المأمون، فانخدع بها طائفة من المسلمين، واتخذوا منها ميزانا للحقائق الشرعية، مما نتج عنه بلاء كبير، وانحراف خطير. يقول الحافظ الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء: (وفي آخر زمن الصحابة، ظهرت القدرية، ثم ظهرت المعتزلة بالبصرة، والجهمية والمجسمة بخراسان في أثناء عصر التابعين، مع ظهور السنة وأهلها، إلى بعد المائتين ، فظهر المَأْمُونُ الخليفة – وكان ذكيا متكلما، له نظر في المعقول – ، فاستجلب كتب الأوائل، وعرب حكمة اليونان، وقام في ذلك وقعد، وخَبَّ ووضع ، ورفعت الجهمية والمعتزلة رؤوسها، بل والشَّيْعَةُ، فَإِنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ).

السَّبَبُ الرابع: تحكيم العقل في أمور العقيدة

لقد امتن الله على الإنسان بنعمة العقل، الذي ميزه به عن سائر الحيوانات. وهذه النعمة هي التي ترفع صاحبها إلى مستوى التكاليف الشرعية الإلهية، وتؤهله لإدراكها، وفهمها. ولكن لما كان للعقول في إدراكها حد تنتهي إليه لا تتعداه، لم يجعل الله لها سبيلا إلى الإدراك في كل مطلوب، فلم يجعل لها سبيلا لإدراك أغلب مسائل الاعتقاد؛ إذ لا يمكن للعقول أن تستقل بمعرفتها، لولا مجيء الوحي بها، وبأدلتها العقلية. وما على العقول إلا فهمها وتدبرها. وإذا كان كذلك، فالعقل مطالب بالتسليم للنصوص الشرعية الصريحة، ولو

لم يفهمها، أو يُدرك الحكمة التي فيها؛ فالأمر ورد بقبولها والإيمان بها.

وأصحاب الفرق إنما ضَلُّوا بسبب احتكامهم إلى عقولهم، وتحكيمها في كلام ربهم، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم تحكيما مطلقا ، إذ إنهم كانوا يَعْرِضُون النص الشرعي على عقولهم، ويستجمعون الأدلة كما يتراءى لهم ، على وجه من الوجوه، وحين يصلون إلى نتيجة، وينتهون إلى قرار، يعمدون إلى هذه الأدلة السمعية الصحيحة، فيؤولون منها ما لا يُوافق نتيجتهم، أو يردُّونَه، كل ذلك بدعوى تناقضه مع العقل.

السَّبَبُ الخامس الجهل والابتعاد عن الكتاب والسنة

الجهل في الدين من أعظم أسباب التفرق. وقد حَذَرَ سَلَفنا الصالح منه. قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود :" اغد عالما، أَوْ مُتَعَلِّمًا، أَوْ مُسْتَمِعًا، وَلَا تكن الرابع فتهلك" (سنن الدارمي).

وقال أبو الدَّرْدَاءِ "قَالَ: كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُحِبًّا أَوْ مُتَّبِعًا ، وَلَا تَكُنِ الْخَامِسَ فَتَهْلِكَ. قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: مَنِ الْخَامِسُ؟ قَالَ: الْمُبْتَدِعُ" (المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي)

وقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: «مَنْ سَوَّدَهُ قَوْمُهُ عَلَى الْفِقْهِ، كَانَ حَيَاةً لَهُ وَلَهُمْ، وَمَنْ سَوَّدَهُ قَوْمُهُ عَلَى غَيْرِ فِقْهٍ، كَانَ هَلَاكًا لَهُ وَلَهُمْ». (شرح السنة للبغوي)

فمن يتصدى للأمور الكبار، والقضايا العظمى، وهو لا يملك علما شرعياً كافيا، وفقها في دين الله عاصما، وفهما لمسائل الدِّينِ هَاديًا، فلا شك أَنَّهُ سَيضِلُ ويُضل، ويهلك ويُهْلِك

أما الابتعاد عن الكتاب والسنة فلست تجد اتفاقا وائتلافا، إلا يسبب اتباع آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا تجد افتراقا واختلافا إلا عند من ترك ذلك، وقدم غيره عَلَيْهِ.

السَّبَبُ السَّادِسُ التَّأْوِيلُ الفَاسِد

معلوم أن التأويل الفاسد من أهم أسباب وقوع الافتراق، ومن أشهر عوامل تشتت كلمة المسلمين، وتفرقهم في الدين.

وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية. فهل قُتِلَ عُثْمَانُ رضي الله عنه إِلَّا بِالتأويل الفاسد وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصفين، ومقتل الحسين رضي الله عنه ، والحرة؟ وهل خرجت الخوارج ، واعتزلت المعتزلة. ورَفَضَتِ الرَّوَافِضُ، وَافْتَرَقَتِ الأُمَّةُ على ثلاث وَسَبْعِينَ فِرْقَة، إلا بالتأويل الفاسد؟! (شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز).

يقول ابن القيم : " وَبِالْجُمْلَةِ فَافْتِرَاقُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، وَافْتِرَاقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً إِنَّمَا أَوْجَبَهُ

التَّأْوِيلُ، وَإِنَّمَا أُرِيقَتْ دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ وَالْحَرَّةِ وَفِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهَلُمَّ جَرًّا بِالتَّأْوِيلِ، وَإِنَّمَا دَخَلَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ مِنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالنُّصَيْرِيَّةِ مِنْ بَابِ التَّأْوِيلِ، فَمَا اُمْتُحِنَ الْإِسْلَامُ بِمِحْنَةٍ قَطُّ إلَّا وَسَبَبُهَا التَّأْوِيلُ؛ فَإِنَّ مِحْنَتَهُ إمَّا مِنْ الْمُتَأَوِّلِينَ، وَإِمَّا أَنْ يُسَلَّطَ عَلَيْهِمْ الْكُفَّارُ بِسَبَبِ مَا ارْتَكَبُوا مِنْ التَّأْوِيلِ وَخَالَفُوا ظَاهِرَ التَّنْزِيلِ وَتَعَلَّلُوا بِالْأَبَاطِيلِ".

السَّبَبُ السَّابِعُ: اتِّبَاعُ الْأَهْوَاءِ

وهو الذي نبه الله تعالى عليه بقوله: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ، وبقوله : { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ }

واتباع الهوى من أسباب الخلاف، وعلامات الفرق الهالكة .

يقول الشاطبي: " وَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَهْلُ الْبِدَعِ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، لِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فَلَمْ يَأْخُذُوا الْأَدِلَّةَ الشَّرْعِيَّةَ مَأْخَذَ الِافْتِقَارِ إِلَيْهَا، وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهَا، حَتَّى يَصْدُرُوا عَنْهَا، بَلْ قَدَّمُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَاعْتَمَدُوا عَلَى آرَائِهِمْ، ثُمَّ جَعَلُوا الْأَدِلَّةَ الشَّرْعِيَّةَ مَنْظُورًا فِيهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ"

المسألة السابعة : حديث الافتراق – رواية ودراية – وحكم الفرق الواردة في الحديث

حديث افتراق الأمة رواه عدد من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك : حديث معاوية بن أبي سفيان قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة)) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والإمام أحمد

وحديث أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة)) رواه ابن ماجه والإمام أحمد

وحديث أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.)) رواه الترمذي وابن ماجه

وحديث عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في

الجنة وثنتان وسبعون في النار قيل يا رسول الله من هم قال الجماعة)) رواه ابن ماجه

وحديث عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:((وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)) رواه الترمذي

وحديث أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة –أو قال: اثنتين وسبعين فرقة–، وإن هذه الأمة ستزيد عليهم فرقة، كلها في النار إلا السواد الأعظم)) رواه ابن أبي شيبة .

المسائل المتعلقة بهذا الحديث :

أولًا: أقوال العلماء في الحكم عليه: للعلماء في حديث الافتراق قولان :

القول الأول : ذهب الجمع الغفير من أهل العلم – المتقدمين منهم والمتأخرين والمعاصرين – إلى قبول حديث افتراق الأمم ، والاحتجاج به، والاعتماد عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وقد جاءت الأحاديث في السنن والمسند من وجوه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة)...فأكثر أهل العلم قبلوها وصدقوها)).

وقال العلامة الألباني: ((... تبين بوضوح أن الحديث ثابت لا شك فيه، ولذلك تتابع العلماء خلفاً عن سلف على الاحتجاج به، حتى قال الحاكم في أول كتابه المستدرك: (إنه حديث كبير في الأصول))).

القول الثاني : تضعيف الحديث وعليه طائفة قليلة من أهل العلم كابن حزم وابن الوزير والشوكاني.

قال ابن حزم عن حديث "الافتراق" وحديث "القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة". : ((هذان حديثان لا يصحان أصلا من طريق الإسناد))

وقال ابن الوزير : ((بعد أن أشار إلى ما لهذه الأمة من الفضائل العظيمة: ((واطرح قول من كفرهم بغير دليل شرعي متواتر قطعي... وإياك والاغترار بـ(كلها هالكة إلا واحدة) فإنها زيادة فاسدة غير صحيحة القاعدة، لا يؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة))

وقال الشوكاني بعد نقله عن ابن كثير أن حديث افتراق الأمم إلى بضع وسبعين مروي من طرق عديدة: ((أما زيادة كونها في النار إلا واحدة فقد ضعفها جماعة من المحدثين، بل قال ابن حزم: إنها موضوعة)) .

والقول الصحيح هو ما عليه أكثر أهل العلم المتقدمين والمتأخرين من أن الحديث ثابت صحيح لا مطعن فيه

كما بين ذلك الألباني رحمه الله عند دراسته للحديث.

وقال شيخ الإسلام: ((الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد))

ثانيًا: صحة تحديد عَدَدِ فرق الأمة بثلاث وسبعين، دون تعيينها

الملاحظ أن جل أحاديث الافتراق حَدَّدت عدد فرق الأمة المحمدية بثلاث وسبعين فرقة؛ كما في حديث أبي هريرة، وحديث معاوية بن أبي سفيان، وحديث عوف بن مالك، وحديث عبد الله بن عمرو، وحديث جابر بن عبد الله الأنصاري، وحديث عبد الله بن عباس ، وحديث أبي أمامة؛ صدي بن عجلان الباهلي، وحديث أبي الدرداء، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

وهذه الأحاديث التي نصت على هذا العدد؛ « ثلاث وسبعين » : هي أرجح من باقي الأحاديث؛ من حيث الصحة، ومن حيث الكثرة. ويدخل معها الأحاديث التي حددت فرق الأمة ببضع وسبعين، أو بنيف وسبعين؛ إذ لا تعارض بين « نيف وسبعين ، و بضع وسبعين »، وبين « ثلاث وسبعين ».

ولا يُلْتَفَتُ إلى الأعداد الأخرى المذكورة في بعض أحاديث الافتراق: «إحدى وسبعون »، « ثنتان وسبعون »؛ فالحديث الذي فيه تعيين فرق الأمة بإحدى وسبعين فرقة؛ روي عن سَعْدِ بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وقد ضعفه العلماء كلهم المتقدمون منهم والمتأخرون ؛ وروي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفا، وكلُّ طُرُقِهِ ضَعِيفةٌ .

والحديث الذي فيه تعيين فرق الأمة باثنتين وسبعين فرقة؛ رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا، وهو صحيح بمجموع طرقه؛ أخرجه الحافظ ابن ماجه وغيره ، وقال عنه العلامة الألباني: حديث صحيح، ورجاله ثقات، على ضعف في هشام بن عمار ، لكنَّه قَدْ تُوبع . وقد روي أيضًا عن عمرو بن عوف رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، وهو ضعيف أيضًا .

وتعيين الفرق باثنتين وسبعين فرقة في هذه الروايات لا يُعارض الروايات الكثيرة التي حددت الفرق بثلاث وسبعين.

ولو فرضنا صحة بعض ما ورد في تعيين الفرق باثنتين وسبعين، فإنَّها تُحمل على حصر الفرق الهالكة ، دون ذكر الفرقة الناجية. لذلك يصار –كما تقدم – إلى الروايات الصحيحة التي حددت عدد فرق الأمة بثلاث وسبعين .

ثالثًا: هل العدد الوارد في الحديث للتكثير والمبالغة أو للتحديد والحصر ؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين :

القول الأول: أن العدد يراد به التكثير لا التحديد، ويستدلون بدليلين على أن العدد في الحديث لم يرد به حقيقته ، وعلى أنه – هنا – لا مفهوم له، بل المراد به المبالغة والتكثير:

دليلهم الأول: هو أن العدد (٧٠) جاء التعبير به في الشرع ولغة العرب لإرادة التكثير لا العدد المخصوص، وذلك قرينة صارفة للعدد أن يراد به حقيقته – في هذا الحديث – ولا سيما إذا أضفنا إلى ذلك:

الدليل الثاني، وهو: أن واقع الفرق يدل على إرادة التكثير، فإذا اعتبرنا أصولها لم تبلغ هذا العدد، وإذا اعتبرنا فروعها زادت عليه بأضعاف مضاعفة.

فتعين – إذًا – أن العدد يراد به هنا المبالغة والتكثير، لا الحصر والتحديد.

القول الثاني : ذهب جمهور أهل العلم والتصنيف من المتقدمين والمتأخرين إلى أن العدد الوارد في حديث افتراق الأمم للتحديد والحصر والتعيين، فعدد الفرق في اليهود والنصارى وهذه الأمة منحصر في العدد الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، لا يزيد عليه البتة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وهذا الذي قاله ابن المبارك في تقسيم أصول الفرق إلى أربعة، وإخراج الجهمية منهم اتبعه عليه طائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم، قالوا: إن الجهمية كفّار، فلا يدخلون في الاثنتين والسبعين فرقة...، وقال آخرون من أصحاب أحمد وغيرهم: بل الجهمية داخلون في الاثنتين والسبعين فرقة، وجعلوا أصول البدع خمسة، فعلى قول هؤلاء يكون كل طائفة من المبتدعة الخمسة اثنا عشر فرقة ، وعلى قول الأولين يكون كل طائفة من المبتدعة الأربعة ثمانية عشر فرقة"

وقال أبو بكر الطرطوشي قال : " اعلم أن علماءنا قالوا : أصول البدع أربعة وسائر الأصناف الاثنتين وسبعين فرقة عن هؤلاء تفرقوا و تشبعوا " .

و قال ابن الجوزي رحمه الله : ((أصول الفرق : الحرورية و القدرية و الجهمية و المرجئة و الرافضة و الجبرية وقد قال بعض أهل العلم : " أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست ، و قد انقسمت كل فرقة منها على اثنتي عشرة فرقة فصارت اثتين و سبعين فرقة)) .

و قال الشاطبي : ((فكثير ممن تقدم و تأخر من العلماء عينوها يعني " الثنتين و سبعين فرقة " ، فمنهم من عد أصولها ثمانية .. وقال جماعة من العلماء : " أصول البدع أربعة وسائر الثنتين وسبعين فرقة عن هؤلاء تفرقوا))

وهذا القول الأخير وهو اعتبار العدد المذكور في النص وأن فرق الأمة ستكون ثلاثاً وسبعين فرقة هو الأظهر و الصحيح ، حيث إن صريح اللفظ يدل عليه ، كما أن النبي ﷺ قد قدم عليه ذكر افتراق اليهود والنصارى و عدد فرقهم ، مما يدل صراحة على أنه يقصد عليه الصلاة و السلام تحديد فرق هذه الأمة ، و أنها ستزيد عمن قبلها و الذي لم يدل عليه دليل هو تعيين تلك الفرق ، فإنه لم يدل دليل على تعيينها ، لهذا نجد أن أهل العلم اختلفوا في أصولها و فروعها ، فمنهم من عد أصولها أربعة ، ومنهم من عدها ستة ، و منهم من عدها ثمانية ، و منهم من عدها أكثر من ذلك ، و حديث النبي ﷺ لم يسم شيئاً منها ، إلا أنه ذكر حكمها و أنها فرق ضلالة ووصف وحدد الفرقة الناجية و هي واحدة فقط .
ومن المعلوم أنه كلما امتد الزمان كلما زاد الافتراق و ظهر في الأمة فرق لم تكن ظهرت من قبل ، فإن زماننا هذا فيه فرق الضلالة السابقة ، و هناك فرق جديدة ظهرت و تظهر ، مما يجعل التحديد بأصول وفروع لا يسلم على كل حال ، إلا على اعتبار ما حدث لا أنه هو كل ما سيحدث . لأن النبي ﷺ لم يحدد زمانا لظهور الفرق.

رابعًا :هل هذه الفرق من أهل الملة أم هم خارجون من الملة :

هذه المسألة يتعلق بها أمران :

الأول : حكم هذه الفرق : الموقف الصحيح الذي ينبغي اعتقاده والمصير إليه؛ أن الفرق الاثنتين والسبعين –في الجملة– لا يزالون من أهل الإسلام، ولم يخرجوا منه إلى الكفر؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم مع حكمه على الفرق بأنها كلها في النار– "لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من أمته" ، فقال: "وتفترق أمتي". قال الخطابي : " قوله ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها خارجة من الدين إذ قد جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم كلهم من أمته.وفيه أن المتأول لا يخرج من الملة وإن أخطأ في تأوله".

والأئمة –رحمهم الله– لم يكفروا جميع أهل البدع:

- فالمأثور عن السلف والأئمة إطلاق القول بتكفير الجهمية المحضة الذين ينكرون الصفات، وحقيقة قولهم: أن الله لا يتكلم ولا يَرى، ولا يباين المخلوق، ولا له علم ولا قدرة، ولا سمع، ولا بصر، ولا حياة، بل القرآن مخلوق، وأهل الجنة لا يرونه كما لا يراه أهل النار... وأمثال هذه المقالات.
- والمأثور عنهم أيضا تكفير القدرية الذين ينفون الكتابة والعلم.

• وفي تكفير الخوارج والروافض نزاع، وتردّدٌ بين الإمام أحمد وغيره، مع أن الخوارج –مع كونهم من أظهر الناس بدعةً، وقتالا للأمة، وتكفيرا لها– لم يكن في الصحابة من يكفرهم– لا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولا غيره– أو يجعلهم مرتدين، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين، واتقوا الله فيهم، وساروا فيهم السيرة العادلة.

• وأما سائرُ أهل الأهواء والبدع ممن كان مؤمنا بالله ورسوله ظاهرا وباطنا، لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة؛ فهذا ليس بكافر ولا منافق في الباطن–وإن أخطأ في التأويل –كائنا ما كان خطؤه– بل هو باقٍ في دائرة الإسلام.

ويترتب على ما سبق أمران:

١–أن من كفر الثنتين والسبعين فرقة كلهم، أو قال: إن الثنتين والسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفرا ينقل عن الملة؛ فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، والتابعين لهم بإحسان –ومنهم الأئمة الأربعة–.

٢–أن الفرق الاثنتين والسبعين ليسوا في مرتبة واحدة:

• فقد يكون فيهم المنافق الزنديق المندس بينهم؛ فهذا كافر –في الباطن–، ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية؛ فإن رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة، وأول من ابتدع الرفض كان منافقا، وكذلك التجهم، فإن أصله زندقة ونفاق.

• وقد يكون فيهم من هو مبتدع، أخرجته بدعته من الإسلام إلى الكفر؛ فهذان الصنفان خارجان عن ملة الإسلام، وهما في الحقيقة ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة إلا ظاهرا؛ لأنهم ليسوا من أمته –صلى الله عليه وسلم–.

• وقد يكون فيهم المؤمن ظاهرا وباطنا، لكنه –بجهله وظلمه– خالف السنة، ووقع في البدعة، ثم كان منه عدوان وظلم أخرجه من السنة إلى البدعة، ومن الإيمان والطاعة إلى الفسق والمعصية، فهذا باقٍ في الإسلام، ويعامل معاملة مبتدعة المسلمين.

• وقد يكون فيهم المؤمن الذي قصد اتباع الحق، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه أخطأ ولم يعرف الحق؛ فهذا مخطئ معذور؛ فإن الله تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان، وهو أولى أن يعذره الله في الآخرة من المتعمِّد العالِم بالذنب.

الثاني : دخول هذه الفرق النار : فيقال في ذلك أن هذا النص من نصوص الوعيد التي توعد الله بها المخالفين العصاة من أهل الإسلام؛ فينبغي التعامل معه كغيره من نصوص الوعيد من أنهم تحت مشيئة الله ،

فمن شاء الله عذبه بعدله، وأدخله النار، ومن شاء رَحِمه بفضله، وغفر له، وأدخله الجنة، ومن دخل منهم النار؛ فإنه لا يخلد فيها –فإن النبي صلى الله عليه وسلم " لم يقل: إنهم يخلدون في النار" بل يخرجه الله منها، ويدخله الجنة، وهذا إنما هو فيمن كان منها من أهل الإيمان والتوحيد باطنا وظاهرا.وأما من كان منافقا أو أخرجته بدعته إلى الكفر فهو خالد في النار خلودا مؤبَّدا

خامسًا من هي الفرقة الناجية : وصفت الفرقة الناجية في الأحاديث بثلاث صفات:

إحداها: أنهم الجماعة.

الثانية: أنهم السواد الأعظم.

الثالثة: أنهم من كان على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، وهذه الصفة تبين المراد من الصفتين قبلها.

وهذا الوصف لا ينطبق إلا على أهل الحديث والسنة؛ فإنهم هم الذين على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. فهم الفرقة الناجية ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل، وقد ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "تفترق الأمة على نيف وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة": إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم .

وقال الإمام عبد القادر الجيلاني وقد ذكر أصول الفرق ... : "وأما الفرقة الناجية: فهي أهل السنة والجماعة"

وقال شيخ الإسلام بعد ما ذكر روايات حديث الافتراق : (ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم، وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريبا من مبلغ الفرقة الناجية فضلا عن أن تكون بقدرها بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة. وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة)

ما المراد بالجماعة الواردة في أحاديث الافتراق وغيرها : قال الشاطبي : (إن رواية من روى في تفسير الفرق الناجية وهي الجماعة محتاجة إلى التفسير لأنه إن كان معناه بينا من جهة تفسير الرواية الأخرى وهي قوله: ما أنا عليه وأصحابي – فمعنى لفظ: الجماعة من حيث المراد به في إطلاق الشرع محتاج إلى التفسير. فقد جاء في أحاديث كثيرة منها الحديث الذي نحن في تفسيره، ومنها ما صح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شيئا فمات مات ميتة جاهلية».) ... فاختلف الناس في معنى الجماعة المرادة في هذه الأحاديث على خمسة أقوال: اختلف

الناس في معنى الجماعة المرادة في هذه الأحاديث على خمسة أقوال...) ، وهي:

١ – أن الجماعة هم السواد الأعظم من أهل الإسلام. ، وعليه رواية الافتراق التي أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – فيها أن الفرقة الناجية هم السواد الأعظم، يقول أبو غالب: إن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية، سواء خالفهم في شيء من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم، فهو مخالف للحق.

وممن قال بهذا عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه –، فقد روي أنه لما قُتل عثمان سُئل عن الفتنة فقال: "عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – على ضلالة، واصبر حتى يستريح بر يستراح من فاجر"

فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلماؤها وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم، لأنه تابعون لهم ومقتدون بهم، فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة، لم يدخلوا في سوادهم بحال.

٢ – أن الجماعة هي جماعة أئمة العلماء المجتهدين، فمن خرج عما عليه جماعة علماء الأمة مات ميتة جاهلية، لأن الله تعالى جعلهم حجة على العالمين، وهم المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام: "إن الله لن يجمع أمتي على ضلالة" ، وذلك أن العامة عنها تأخذ دينها، وإليها تفزع عند النوازل، وهي تبع لها. فمعنى قوله: "لن تجتمع أمتي": لن يجتمع علماء أمتي على ضلالة. وممن قال بهذا عبدالله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وجماعة من السلف وهو رأي الأصوليين، فقيل لعبدالله بن المبارك من الجماعة الذين ينبغي أن يقتدى بهم؟ قال: "أبو بكر وعمر، فلم يزل يحسب حتى انتهى إلى محمد بن ثابت والحسين بن واقد، فقيل: هؤلاء ماتوا، فمن الأحياء؟ قال: أبو حمزة السكري".

فعلى هذا القول لا مدخل في هذا السواد لمن ليس بعالم مجتهد، لأنه داخل في أهل التقليد، فمن عمل منهم بما يخالفهم فهو صاحب الميتة الجاهلية، ولا يدخل فيهم أيضاً أحد المبتدعين، لأن البدعة قد أخرجته عن نمط من يعتد بأقواله.

٣ – أن الجماعة هي جماعة الصحابة على الخصوص، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً، ولأنهم المتلقون لكلام النبوة الذين فهموا مراد الله بالتلقي من نبيه مشافهة، على علم وبصيرة بمواطن التشريع وقرائن الأحوال بخلاف غيره، فإن فيه لأهل الاجتهاد مجالاً للنظر رداً أو قبولاً، فأهل البدع إذاً غير داخلين فيه، وممن قال بهذا القول عمر بن عبدالعزيز.

٤ – أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام، إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم، وهم الذين ضَمِن الله لنبيه عليه الصلاة والسلام أن لا يجمعهم على ضلالة.

وكأنَّ هذا القول راجع إلى الثاني وهو يقتضي ما يقتضيه، أو يرجع إلى القول الأول وهو الأظهر، وفيه من المعنى ما في الأول من أنه لابد من كون المجتهدين فيهم، وعند ذلك لا يكون مع اجتماعهم على هذا القول بدعة أصلاً.

٥ – أن الجماعة هي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، وقد اختار هذا القول الإمام الطبري؛ وحاصل هذا القول أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة كالخوارج ومن جرى مجراهم.

هذه أهم الأقوال في الجماعة وحاصلها أن الجماعة ترجع إلى أمرين:

أحدهما: أن الجماعة هم الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع، فيجب لزوم هذه الجماعة، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها.

الثاني: أن الجماعة ما عليه أهل السنة من الاتباع وترك الابتداع، وهو المذهب الحق الواجب اتباعه والسير على منهاجه، وهذا معنى تفسير الجماعة بالصحابة، أو أهل العلم والحديث، أو الاجماع، أو السواد الأعظم، فهي كلها ترجع إلى معنى واحد هو: ما كان عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، فيجب الاتباع حينئذ ولو كان المتمسك بهذا قليلا، ولهذا قال عبد الله ابن مسعود – رضي الله عنه إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك " ، وروى عنه أنه قال: " إنما الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك " ، يقول أبو شامة: " حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق وأتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيرا، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه رضي الله عنهم– ولا تنظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم "

المسألة الثامنة: صفات أهل الأهواء

١–**الفرقة** ، أمر الله –سبحانه– بالجماعة والائتلاف، وأخبر أن ذلك سبيل الأنبياء والمرسلين والمؤمنين، وذم التفرق والاختلاف، وبيّن أنه طريق المشركين والمغضوب عليهم والضّالين، قال تعالى: {وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُون}، وقال تعالى : {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}

فالفُرقة من أعظم العلامات والدلائل التي يُفْرَق بها بين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الهدى وأهل الضلال،

وأهل السنة والاتباع وأهل البدع والأهواء، ولله درّ الإمام قتادة حيث قال: ((تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق)) .

وقال الإمام أحمد: ((فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب)) .

والفُرْقة التي وقع فيها أهل البدع والأهواء لها ثلاثة جوانب:

الأول: مفارقة فِرَق أهل الأهواء والبدع ما عليه الأنبياء والرسل والفرقة الناجية، من أتباعهم، قال تعالى: { وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد } ، وقال تعالى : { واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا } ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وشِعار هذه الفِرَق: مفارقة الكتاب والسنة والإجماع))

الثاني: مفارقة فِرَق أهل البدع والأهواء بعضها بعضاً، قال عزّ وجلّ:{ إن فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} ((أي: جماعات بعضهم قد فَارَقَ البعض، ليسوا على تألُّفٍ ولا تعاضُدٍ وتناصُر، بل على ضدّ ذلك)) وهذان الجانبان دلّ عليهما حديث افتراق الأمم .

الثالث: مفارقة أتباع الفِرْقَة الواحدة من فِرَق أهل الأهواء والبدع بعضهم بعضاً، وتفرّق الفِرْقَة الواحدة –من ثَمَّ– إلى فِرَق عديدة.

وهذا الجانب تشهد به الكتب المصنَّفة في الفِرَق، فما مِن فِرقة من فِرق أهل البدع والأهواء الرئيسة إلا حصل بين أتباعها نزاعات واختلافات أدّت إلى انقسامهم فيما بينهم، ونتج عن ذلك تفرّق الفرقة الواحدة إلى فِرق عديدة.

- فالخوارج –أول فِرق هذه الأمة– انقسموا فيما بينهم إلى عشرين فرقة
- والشيعة أعظم تفرقاً وأكثر اختلافاً –في أنفسهم– من جميع فرق الأمة، حتى قيل: إنهم يبلغون ثنتين وسبعين فرقة.
- وأهل الفلسفة والكلام أعظم الناس افتراقاً واختلافاً –مع دعوى كلٍّ منهم أن الذي يقوله حقّ مقطوع به قام عليه البرهان–، فلا يتفق منهم اثنان رئيسان على جميع مقدّمات دليلٍ إلا نادراً، فكل رئيس من رؤساء الفلاسفة والمتكلمين له طريقة في الاستدلال تخالف طريقة الرئيس الآخر

٢– **اتباع الهوى:** فاتباع الهوى من أبرز علامات أهل البدع والمفارقين للفرقة الناجية، المفترقين فيما بينهم وقد جاءت الإشارة إليه في إحدى روايات حديث افتراق الأمم، ففي حديث معاوية: ((وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة –يعني الأهواء–، كلها في النار إلاّ واحدة، وهي الجماعة. وإنه سيخرج في أمتي أقوامٌ تَجَارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصلٌ إلا دخله)).

ف((أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن لزوم اتباع الهوى لأهل البدع، وأنه لا ينفكّ عنهم بحال)) .
وكان السلف –رحمهم الله– يسمون أهل البدع والتفرّق المخالفين للكتاب والسنة: أهل الأهواء
قال ابن القيم –رحمه الله–: ((وكان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول في مسائل العلم الخبرية، وأهل مسائل الأحكام العملية؛ يسمونهم: أهل الشبهات والأهواء؛ لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم، وهوى لا دين، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير هدىً من الله))
٣– **اتباع المتشابه** : دلّ القرآن الكريم على أن اتّباع المتشابه من علامات أهل البدع والفُرقة، فقد دلّت على ذلك السنّة، وبه جاء الأثر. روى الطبراني في معجمه عن أبي غالب، قال: كنت بالشام، فبعث المهلب سبعين رأسا من الخوارج، فنصبوا على باب المسجد، وكنت على ظهر بيت لي، فمر أبو أمامة يريد المسجد، فلما وقف عليهم دمعت عيناه، فقال: «سبحان الله، ما يفعل الشيطان ببني آدم» – ثلاثا – قال: «كلاب جهنم شر قتلى تحت ظل السماء» – ثلاث مرات – ثم قال: «خير قتلى تحت ظل السماء من قتلوه» – ثلاثا – ثم التفت إلي فقال: «يا أبا غالب، إنك بأرض هؤلاء بها كثير، فأعاذك الله منهم. هل تقرأ السورة التي فيها آل عمران؟» قلت: بلى، إني رأيتك دمعت عيناك. قال: «بكيت رحمة لهم، كانوا من أهل الإسلام» فتلا: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات} [آل عمران: ٧] إلى أن بلغ: {ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله} [آل عمران: ٧] وإن هؤلاء كان في قلوبهم زيغ، فزيغ بهم، ثم تلا: {ولا تكونوا كالذين تفرقوا} [آل عمران: ١٠٥] إلى أن بلغ: {أكفرتم بعد إيمانكم} [آل عمران: ١٠٦] قلت: هؤلاء يا أبا أمامة؟ قال: «نعم» . قلت: يا أبا أمامة من قبل رأيك تقول، أم شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «إني لجريء – ثلاثا – بل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مرة، ولا مرتين حتى بلغ ستة»
وأما الأثر: فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((سيأتي أناس سيجادلونكم بشبهات القرآن، خذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله))
٤– **معارضة السنة بالقرآن** : قال الإمام البربهاري –رحمه الله–: ((وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار، أو يردّ الآثار، أو يريد غير الآثار؛ فاتهمه على الإسلام، ولا تشكّ أنه صاحب هوىً مبتدع))
وقال أيضاً: ((وإذا سمعتَ الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده، ويريد القرآن؛ فلا شكّ أنه رجل قد احتوى على الزندقة، فقُمْ من عنده ودَعْه))
وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوع ذلك في أمته –قبل أن يقع–، فعن المقدام بن معد يكرب مرفوعاً: ((يوشك الرجل متكئاً على أريكته، يُحدَّث بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عزّ وجلّ، فما

وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإن ما حرّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرّم الله)). أخرجه أبو داود والترمذي(وابن ماجه –واللفظ له–، وفي رواية لأبي داود: ((ألا إني أوتيتُ الكتاب ومثلَه معه)).

٥– بغض أهل الأثر: أهل الأهواء والبدع والفُرقة –وإن تنازعوا واقتتلوا فيما بينهم– فهم مجتمعون متناصرون على حرب أهل الأثر، وحالهم في ذلك كما قال قتادة: ((تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق))

قال أحمد بن سنان القطان : ((ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث)).

وقال أبو حاتم الرازي : ((علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر))

٦– إطلاق الألقاب السيئة على أهل السنة : نصّ أئمة أهل السنة –كالإمام أحمد وأبي حاتم الرازي والبربهاري واللالكائي وأبي عثمان الصابوني وغيرهم– على أن من علامات أهل البدع إطلاق الألقاب الشنيعة القبيحة على أهل السنة، فمن الأسماء والألقاب التي أطلقها أهل الباطل على أهل السنة : المشبهة، والمجسمة ، والحشوية ،والناصبة وغير ذلك من الأسماء الباطلة

٧–ترك انتحال مذهب السلف: من أبرز علامات أهل البدع والفُرقة: ترك انتحال مذهب السلف –رحمهم الله–، واتّباع مذاهب مبتَدعة محدَثة ما أنزل الله بها من سلطان.

فمتكلِّمة أهل الإثبات من الكلابية والأشعرية والكرّامية –وإن كانوا في الجملة لا يطعنون في السلف– فهم يصرِّحون بمخالفة السلف في مسائل الدين، ويذكرون الخلاف بين السلف وبين أصحابهم المتكلِّمين. أو ليس ذلك صريحاً في أن السلف كانوا ضالّين عن التوحيد والتنزيه وغير ذلك، وعَلِمه المتأخِّرون؟.

وقد يجعلون إخوانهم المتأخِّرين أحذق وأعلم من السلف، فيقولون: طريقة السلف أسلم، وطريقة هؤلاء أعلم وأحكم. فيصفون إخوانهم بالفضيلة في العلم والبيان والتحقيق والعرفان، ويصمون السلف بالنقص في ذلك والتقصير فيه أو الخطأ والجهل.

٨– تكفير مخالفيهم بغير دليل : فأهل الأهواء والابتداع والفُرقة أهل تبايُنٍ لا تعاون، واختلافٍ لا ائتلاف، وشقاقٍ لا اتفاق.

وأبرز ما يتّضح به خروجهم عن الحق، وتناحرهم فيما بينهم: تكفير المخالفين لهم بغير دليلٍ ومستَنَد، ولا بُرهانٍ معتمَد، بل هو محض الرأي والهوى، والاعتداء والافتراء

فأول الفِرق في هذه الأمة هي فرقة الخوارج، و((هم أوّل من كفّر المسلمين، يكفِّرون بالذنوب، ويكفِّرون من

خالفهم في بدعتهم، ويستحلّون دمه وماله. وهذه حال أهل البدع)).

المسألة التاسعة: الآثار المترتبة على الافتراق:

١- ظهور التكفير والتبديع والتفسيق بغير حق: فكل فرقة تعتقد أنها على الحق وتوالي عليه، وتعتقد أن غيرها على الباطل وتعاديها لذلك، فصارت كل فرقة إنما توالي وتعادي وتحب وتبغض على ما ترى هي أنه الحق أو الباطل، لا على الدين الذي أرسل الله به الرسل وأنزل الكتب.

وهذه المرحلة تتبعها مرحلتان متتاليتان:

الأولى – اعتقاد كل فرقة أن الباطل الذي تراه كذلك في الفرق الأخرى موجب لتبديع تلك الفرق أو تكفيرها.

الثانية – بعد اعتقاد كفر الفرق الأخرى أو ابتداعها ترتب كل فرقة على ذلك الاعتقاد أحكامًا تبتدعها.

فبعد أن تعتقد كل فرقة أنها على الحق، وغيرها على الباطل؛ ترى أن الحق الذي معها هو الدين الواجب إتباعه، وأن من خالفه فهو مبتدع أو كافر، فتتوصل بذلك إلى تبديع أو تكفير جميع الفرق المخالفة لها. وهذه حال جميع أهل البدع

٢- فشو البدع وضياع السنن: كل تفرق فهو متضمن ترك سنة من سنن الدين، وارتكاب بدعة من البدع المحدثة، وهذا هو معنى ما ورد عن عدد من السلف من أنه ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ولا شك أن التفرق من أعظم البدع.

٣- ضعف الأمة وطمع أعدائها فيها: قال شيخ الإسلام : ((وهذا التفريق الذي حصل من الأمة علمائها ومشايخها؛ وأمرائها وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها. وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى: {ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء} . فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب))

المسألة العاشرة: التحذير من البدع والنهي عن الافتراق من الكتاب والسنة وآثار السلف:

أولًا : الأدلة من القرآن

١- قوله تعالى : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}

٢- وقوله تعالى :{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا} .

٣- وقوله تعالى :{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} .

والآيات واضحة في معناها ودلالتها ولا تحتاج إلا إلى التطبيق بجد وإخلاص، فهي تحذر من التفرق وتدعو إلى الوحدة وجمع كلمة المسلمين، والسير في طريق واحد. فإذا تفرق المسلمون بعد ذلك فهم خارجون عن السير فيه، وحينما تفرق المسلمون أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، زعمت كل فرقة أنها هي الناجية، وما عداها هالك، حتى التبس الأمر على كثير من المسلمين فلم يهتد إلى الفرقة الناجية بسبب تلك المزاعم، ولا ينبغي أن نأبه لتلك المزاعم، بل نعرض كل ما نسمع على كتاب الله وسنة نبيه، فما وافقهما فهو الحق، وما خالفهما عرفنا أنه باطل وهذا هو الميزان الذي ينبغي أن نزن به كل قول ومعتقد مهما كان مصدره كما هو حال أهل السنة في عرضهم للأقوال والمعتقدات على كتاب الله وسنة رسوله، وهو توفيق من الله لهم، وهم الفرقة الناجية، وهم أهل الحق إلى أن تقوم القيامة.

ثانيًا: الأدلة من السنة النبوية على التحذير من البدعة والنهي عن التفرق :

من عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى اجتماع كلمة المسلمين وتحذيرهم عن التفرق أحاديث كثيرة منها على سبيل المثال:

١- عن عبد الله بن مسعود، قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا، ثم قال: " هذا سبيل الله "، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: " هذه سبل - قال يزيد: متفرقة - على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه "، ثم قرأ: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل، فتفرق بكم عن سبيله) رواه الإمام أحمد في مسنده

٢- وروى الترمذي وصححه، وأبو داود وغيرهما عن العرباض بن سارية قال: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب. فقال قائل: يا رسول الله؟ كأن هذا موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: " أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا؛ فإنه من يعيش منكم بعدي؛ فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

٣- وفي صحيح مسلم عن حذيفة، قال: "قلت يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجَاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها فقلت: صفهم لنا؟ قال: نعم، قوم من

جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فأعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك".

٤- وفي الصحيح من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى الهدى؛ كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا».

ثالثًا: ما جاء عن السلف في التحذير من البدعة والنهي عن التفرق :

١-عن حذيفة – رضي الله عنه – قال: (يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيداً، ولئن أخذتم يميناً أو شمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً..

٢- وروى الآجري بسنده عن أبي العالية قوله: (تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإنه الإسلام ولا تحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم – صلى الله عليه وسلم – والذي عليه أصحابه، فإنا قد قرأنا القرآن من قبل أن يفعلوا الذي فعلوه خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء، فحدثت به الحسن فقال: صدق ونصح..) .

٣- وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: (عليكم بالاستقامة والأثر وإياكم والتبدع)

٤-وروى الإمام أحمد في الزهد بسنده عن الحسن البصري أنه قال: (اعرفوا المهاجرين بفضلهم، واتبعوا آثارهم وإياكم ما أحدث الناس في دينهم، فإن شر الأمور المحدثات) .

٥-وقال حسان بن عطية –كما روى ذلك الأوزاعي عنه: (ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ولا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة.

٦- وقال رجل لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله أوصني، قال: إياك والأهواء، وإياك والخصومة، وإياك والسلطان)

المسألة الحادية عشرة : صفات الفرقة الناجية وأدلتها:

أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة لهم خصائص وسمات تميزهم عن غيرهم، منها:

١-الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة: فهم ينهلون من هذا المنهل العذب عقائدَهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكَهم، وأخلاقهم، فكل ما وافق الكتاب والسنة قبلوه وأثبتوه، وكل ما خالفهما ردوه على قائله كائناً من كان.

٢- التسليم لنصوص الشرع، وفهمها على مقتضى منهج السلف: فهم يسلِّمون لنصوص الشرع، سواء فهموا الحكمة منها أم لا، ولا يعرضون النصوص على عقولهم، بل يعرضون عقولهم على النصوص، ويفهمونها كما فهمها السلف الصالح.

٣- الاتباع وترك الابتداع: فهم لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، ولا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي"ولا يرضون لأحد كائناً من كان أن يرفع صوته فوق صوت النبي". بخلاف المبتدعة الضالين، الذين ابتدعوا في الدين، مستدركين على وحي رب العالمين، ألا ساء ما يعملون.

٤- الاهتمام بالكتاب والسنة: فهم يهتمون بالقرآن حفظاً وتلاوة، وتفسيراً، وبالحديث دراية ورواية. بخلاف غيرهم من المبتدعة الذي يهتمون بكلام شيوخهم أكثر من اهتمامهم بالكتاب والسنة.

٥- احتجاجهم بالسنة الصحيحة وترك التفريق بين المتواتر والآحاد: سواء في الأحكام أو العقائد، فهم يرون حجية الحديث إذا صح عن رسول الله"ولو كان آحاداً.

٦- ليس لهم إمام معظم يأخذون كلامه كله، ويدعون ما خالفه إلا الرسول": أما غير الرسول"فإنهم يعرضون كلامه على الكتاب والسنة، فما وافقهما قُبِل، وما لا فلا، فهم يعتقدون أن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول". أما غيرهم من الفرق الأخرى، ومن متعصبة المذاهب_ فإنهم يأخذون كلام أئمتهم كله حتى ولو خالف الدليل.

٧- هم أعلم الناس بالرسول": فهم يعلمون هديه، وأعماله، وأقواله، وتقريراته؛ لذلك فهم أشد الناس حباً له، واتباعاً لسنته. بخلاف غيرهم من أهل البدع الذي يعرفون عن أئمتهم ما لا يعرفونه عن رسول الله".

٨- الدخول في الدين كله: فهم يدخلون في الدين كله، ويؤمنون بالكتاب كله؛ امتثالاً لقوله_تعالى_: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً] (البقرة: ٢٠٨) . بخلاف الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وبخلاف الذين نسوا حظاً مما ذكروا به، والذين جعلوا القرآن عضين؛ فآمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض.

٩- تعظيم السلف الصالح: فأهل السنة يعظمون السلف الصالح، ويقتدون بهم، ويهتدون بهديهم، ويرون أن طريقتهم هي الأسلم، والأعلم، والأحكم.

١٠- الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة، ورد المتشابه إلى المحكم: فهم يجمعون بين النصوص الشرعية في المسألة الواحدة، ويردون المتشابه إلى المحكم؛ حتى يصلوا إلى الحق في المسألة.

١١-عدم الاختلاف في أصول الاعتقاد: فالسلف الصالح لا يختلفون_بحمد الله_في أصل من أصول الدين،

وقواعد الاعتقاد؛ فقولهم في أسماء الله وصفاته وأفعاله واحد، وقولهم في الإيمان وتعريفه ومسائله واحد، وقولهم في القدر واحد، وهكذا في باقي الأصول.

١٢-الوسطية: قال تعالى : [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً] (البقرة: ١٤٣) .فالوسطية من أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة.

فكما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم التي تجنح إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك_فكذلك أهل السنة والجماعة؛ فهم متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم.

وتتجلى وسطية أهل السنة والجماعة في شتى الأمور؛ سواء في باب العقيدة، أو الأحكام، أو السلوك، أو الأخلاق، أو غير ذلك.

المسألة الثانية عشرة : منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع المخالفين من الفرق.

أولاً – موقف الفرقة الناجية من البدع:

تعتقد الفرقة الناجية:

١-وجوب اتباع الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة ثم السلف المشهود لهم بالفضل والخير والعلم والدين.

٢-تحريم الابتداع جملةً وتفصيلاً، وتحريم البدع كلها.

٣-أن الابتداع مخالفة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلّم وصحابته ثم السلف الصالح.

٤-البدع كلها ضلال وهلاك.

قال الإمام البخاري: (لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم، أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر، لقيتهم كرّاتٍ قرناً بعد قرن ثم قرناً بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة...، فما رأيت واحداً منهم يختلف في هذه الأشياء...) فذكر جملةً من أمور الاعتقاد، ومما ذكره: (وكانوا ينهون عن البدع مما لم يكن عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، لقوله: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} ، ولقوله:{وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} .

ويَحثّون على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، لقوله: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

وفي اعتقاد أبي زرعة وأبي حاتم الرازيين: (أدركنا العلماء في جميع الأمصار – حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً –، فكان من مذهبهم:... ونتبع السنّة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة).

ثانياً – موقف الفرقة الناجية من أهل البدع: للفرقة الناجية موقف جليٌ واضح تجاه أهل البدع في شتّى المسائل، فيما يأتي ذكره باختصار:

١ – موقفهم من تكفير أهل البدع وتفسيقهم:

مبنيٌ على أصلين:

الأول – دلالة الكتاب والسنّة على أن القول أو الفعل الصادر من المحكوم عليه موجب للكفر أو الفسق.

الثاني – انطباق الحكم على القائل أو الفاعل المعيَّن، بحيث تتمّ فيه شروط التكفير أو التفسيق، وتنتفي موانعهما.

٢ – موقفهم من لعن أهل البدع:

ويختلف باختلاف قسمي اللعن:

= فاللعن المطلق: جائز.

= واللعن للمعيَّن: جائز – إن كان المعيّن مستحقاً للّعن، بمعنى: أن يأتي بفعل ملعون عليه في الشرع، وتتحقق فيه شروط اللعن، وتنتفي فيه الموانع –، وهذا على الراجح.

٣ – موقفهم من الصلاة خلف المبتدع:

= يختلف باختلاف أحوال أهل البدع، ونوع الصلاة المقامة خلفهم:

= المبتدع الكافر: لا تصحّ الصلاة خلفه.

= المبتدع غير الداعية: تُؤدى الصلاة خلفه، وإن أمكن أداؤها خلف العدل فهو أفضل.

= المبتدع الداعية: تُكره الصلاة خلفه إن أمكن أداؤها خلف إمامٍ عدل، وتؤدى خلفه إن لم يكن أداؤها إلاّ خلفه.

٤ – موقفهم من عيادة أهل البدع:

= المبتدع الكافر ببدعته: لا تشرع عيادته إلاّ إذا غلب على الظنّ تحقق مصلحة من ورائها –كتوبته من البدعة – أو تحقّق بها أمرٌ مشروع –كصلة رحم –.

= المبتدع غير الداعية: عيادته جائزة.

المبتدع الداعية: قد تُتْرَك عيادته من باب الهجر والعقوبة.

٥ – موقفهم من شهود جنائز أهل البدع:

= المبتدع الكافر: لا تجوز الصلاة عليه.

= المبتدع غير الداعية: تجوز الصلاة عليه، بل تُشْرَع.

= المبتدع الداعية: يُشْرَع ترك الصلاة عليه؛ إذا قُصِدَ بذلك الزجر والتأديب لغيره عن مثل فعله، وغلب على الظن تحقّق تلك المصلحة، وكان في المسلمين من يصلّي عليه.

٦ – موقفهم من بغض أهل البدع وإظهار عداوتهم:

من أصولهم: بُغْض أهل البدع ومعاداتهم في الله؛ لخروجهم عن السنة وابتداعهم في الدين، وإظهار ذلك البغض وتلك العداوة على الجوارح من التصريح ببغضهم، ومعاملتهم بالغلظة والشدّة، وقطع معونتهم، والسعي في إبطال مقاصدهم، وغير ذلك من الأساليب المظهرة للبغض والعداوة لهم.

٧ – موقفهم من غيبة أهل البدع:

غيبة المبتدع للتحذير منه جائزة؛ إذا تحقّق فيها الإخلاص، وكان المبتدع المحذَّر منه حَيًّا مجاهراً بالبدعة معلناً لها، أو كان ميّتاً له كتب تقرِّر البدع وأتباع ينشرونها بعده.

٨ – موقفهم من السلام على أهل البدع:

= المبتدع الكافر: يحرم ابتداؤه بالسلام، وإذا سَلّم رُدَّ عليه بأن يُقَال له: (وعليكم).

= المبتدع غير الداعية: يُسَنّ ابتداؤه بالسلام، ويجب الردّ عليه إذا سَلَّم.

= المبتدع الداعية: يشرع ترك ابتداء السلام عليه والردّ من باب الزجر والعقوبة.

٩ – موقفهم من مجالسة أهل البدع:

من أصولهم: هجر أهل البدع وترك مجالستهم لمقاصد وأغراض شرعية.

١٠ – موقفهم من مجادلة أهل البدع:

إن كانت المجادلة لإثبات الحق أو دفع الباطل، وكان المجادِل أهلاً لها، فهي محمودة مأمور بها.

وإن كانت فيما نهى الله ورسوله عن المجادلة فيه، أو كانت لحظّ النفس، أو لمجرّد التعصّب للرأي والعناد، أو لردّ الحق ونصرة الباطل؛ فهي مذمومة منهيٌّ عنها.

١١ – موقفهم من عقوبة أهل البدع بالقتل وبغيره من أنواع التعزير:

هذه العقوبات مشروعة، وترجع إلى ولاة الأمر بأن يجتهدوا في اختيار ما يرونه مناسباً من أنواع العقوبات الملائمة لحال المبتدع وظروف الزمان والمكان.

١٢ – موقفهم من تلقي العلم عن أهل البدع:

لا يُتَلَقَّى العلم عن أهل البدع، ولا يُنصّبون مدرِّسين لأبناء أهل السنة؛ خشية افتتان الدارسين بهم، وزجراً لهم وعقوبةً عن الابتداع.

المسألة الثالثة عشرة أهم المؤلفات في علم الفرق قديماً وحديثاً

المؤلفات قديماً:

١- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي .

٢- الملل والنحل للشهرستاني

٣- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي

٤- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري .

٥-الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم .

٦- رسالة في الرد على الرافضة ، لأبي حامد محمد المقدسي

المؤلفات حديثاً :

١. الشيعة والتشيع للشيخ إحسان إلهي ظهير .

٢ – دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) د . فهد أحمد جلي

٣-رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع د . ناصر بن عبد الكريم العقل

٤- الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها د . غالب بن علي عواجي .

٥-فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د . غالب بن علي عواجي

٦- المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم . د . أحمد سردار

دراسة الفرق

أولًا: فرقة الخوارج

١-تعريف الخوارج .

الخوارج في اللغة : الخوارج جمع خارج وهو اسم فاعل مشتق من الخروج، والخروج نقيض الدخول والخَارِجِيُّ: الذي يَخْرُجُ ويَشْرُف بنفسه، من غير أن يكون له قديمٌ وقيل الخارِجِيُّ كل ما فاق جنسه ونظائره فالمعنى في اللغة يدور حول الظهور والبروز من غير أن يكون له أصل سابق، وهذا المعنى يتناسب تماما مع الخوارج، لأنهم خرجوا وظهروا على المسلمين بعقيدة ومنهج لم يكن لهم فيها سلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته الكرام .

والخوارج في الاصطلاح: هم من خرج على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم، ويطلق على كل من خرج على الإمام الحق مطلقا، وكفر بالكبيرة أو بالمعصية.

أسماء الخوارج وسبب تلك التسميات :

للخوارج أسماء كثيرة، ، ومن تلك الأسماء:

١-الخوارج قيل سُمُّوا بذلك لخروجهم عن الدين، وقيل لخروجهم عن الجماعة ، وقيل لخروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكل هذه الأسباب التي ذكرت صحيحة فالخوارج خرجوا عن الدين الصحيح الذي عليه صحابة رسول الله ، فكان من نتيجة ذلك الخروج على المسلمين وعلى إمامهم.

٢- الحرورية :سُمُّوا بذلك لاجتماعهم بقرية حروراء . موضع بالنهروان . بعد خروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال النووي : (سُمُّوا حرورية لأنهم نزلوا حروراء وتعاقدوا عندها على قتال أهل العدل، و حَرُورَاءَ بفتح الحاء وبالمد قرية بالعراق قريبة من الكوفة)

٣-أهل النَّهْرَوَان : وسموا بذلك نسبة للمكان الذي قاتلوا علي -رضي الله عنه- فيه، وفي سنن أبي داود عن عبيدة : أن عليًّا ذكر أهل النَّهْرَوَان فقال: ((فيهم رجل مُودَنُ اليد أو مُخْدَجُ اليد أو مَثْدُونُ اليد لولا أن تَبْطَرُوا لَنَبَّأْتُكُمْ ما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد -صلى الله عليه وسلم-. قال قلت: أنت سمعت هذا منه قال: إي ورب الكعبة))

قال العراقي: (أهل النَّهْرَوَان المراد بهم الخوارج المارقون في زمن علي رضي الله عنه، وكان اجتماعهم في هذا المكان، وهو بفتح النُّون وإسكان الهاء وفتح الراء المهملة، وهي بلدة على أربع فراسخ من الدِّجْلَة)

٤-الشُرَاة: اختلف في سبب تسميتهم فقيل: أنهم سَمَّوْا أنفسهم بذلك، وقيل أن أهل السنة سمَّوهم بذلك.

قال الماوردي في سبب تسميتهم: (وَسُمُّوا شُرَاةً، وَاخْتُلِف في تسميتهم على وجهينِ : أحدهما: أنه تسمية ذم، سَمَّاهم به أهل العدل ؛: لأنهم شَرَوْا على المسلمين وحاربوا جماعتهم. وَالثاني: أنه تسمية حمد، سَمَّوْا بها أنفسهم ؛ لأنهم شَرَوُا الدنيا بالآخرة، أي: باعوها).

٥- المارقة. سُمُّوا بذلك لما جاء عن النبي : «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق» رواه مسلم

٦- المحكمة : وهو من أوائل أسمائهم التي أطلقت عليهم ، وقد أطلق عليهم بسبب رفضهم تحكيم الحكمين أو لقولهم كلمة لا حكم إلا الله

٧- النواصب. سُمُّوا بذلك لمبالغتهم في نصب العداء لعليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه -.

نشأة الخوارج ، وتطور مذهبهم وأبرز أعلامهم

أولا: نشأة الخوارج :

اختلف المؤرخون وعلماء الفرق في تحديد بدء نشأتهم وخلاصة ذلك ما يلى: -

١- أنهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- أنهم نشأوا في عهد عثمان رضي الله عنه.

٣- أنهم نشأوا في عهد علي رضي الله عنه حين خرج عليه طلحة والزبير، كما يزعم بعض علماء الإباضية.

٤- أو حين خرج الخوارج من المحكمة عن جيشه كما هو الراجح.

٥- أنهم ظهروا في عهد نافع بن الأزرق ابتداء من سنة ٦٤هـ، وفيما يلي مناقشة تلك الأقوال وبيان الصحيح منها:

أما بالنسبة للقول الأول، فإن المقصود به ما وقع للرسول صلى الله عليه وسلم من قيام ذي الخويصرة- عبد الله ذي الخويصرة التميمي- في إحدى الغزوات في وجه الرسول معترضاً على قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم للفيء، وأنه لم يعدل -حاشاه- في قسمتها.

وقد قال بهذا القول كثير من العلماء منهم: الشهرستاني وابن حزم وابن الجوزي، والآجري، إلا أنه ينبغي التفريق بين بدء نزعة الخروج على صورة ما، وظهور الخوارج كفرقة لها آراء وتجمع قوي. فذو الخويصرة لا يعتبر في الحقيقة زعيماً للخوارج، لأن فعلته حادثة فردية- تقع للحكام كثيراً- ولم يكن له حزب يتزعمه ولا كان مدفوعاً من أحد -إلا طمعه وسوء أدبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع هذا فيمكن القول بأن نزعة الخروج قد بدأت بذرتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما بالنسبة للقول الثاني، فهو رأي لبعض العلماء أيضاً كابن كثير وابن أبي العز ، ولكن يرد على هذا أن أولئك الثوار البغاة كان هدفهم قتل عثمان وأخذ المال، ولا ينطبق عليهم وصف فرقة ذات طابع عقائدي خاص، ولهذا اندمجوا مع المسلمين بعد تنفيذ جريمتهم ولم يشكلوا فرقة مستقلة -وإن كان فعلهم يعتبر خروجاً عن الطاعة وخروجاً على الإمام -إلا أنهم ليسوا هم الخوارج كفرقة عقائدية سياسية لما تقدم.

وأما بالنسبة للقول الثالث؛ وهو للورجلاني الإباضي، فأنه قول مردود؛ فإن طلحة والزبير رضي الله عنهما لا يصح وصفهما بالخوارج ولا ينطبق عليهما وصف الخوارج كفرقة، وكان معهما أيضاً أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد شهد الله لها بالإيمان، وطلحة الزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة .

وأما بالنسبة للقول بأن نشأتهم تبدأ من قيام نافع بن الأزرق؛ فإنه لم يقل به غير من ذكرنا من علماء الإباضية ؛ لنفيهم وجود صلة ما بين المحكمة ومن ثار على طريقتهم وبين الأزارقة بعدهم، وهو قول غير مقبول لوجود تسلسل الأحداث وارتباطها من المحكمة إلى ظهور نافع بن الأزرق.

والحاصل أن الخوارج بالمعنى الصحيح اسم يطلق على تلك الطائفة ذات الاتجاه السياسي والآراء الخاصة، والتي خرجت عن جيش الإمام علي رضي الله عنه والتحموا معه في معركة النهروان الشهيرة .

ثانيًا: تطور مذهب الخوارج :

لما طالت الحرب بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن سفيان -رضي الله عنهما، أشار عمرو بن رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه برفع المصاحف ليتوقف القتال، فرفع أصحاب معاوية المصاحف ودعوا أصحاب علي إلى ما فيها ، فتوقف القتال، وقالوا: تبعثون منكم رجلاً ونبعث منا رجلاً، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله عز وجل، فقال الناس: قد رضينا، فبعثوا عمرو بن العاص، فقال أصحاب علي:

ابعث أبا موسى، فقال علي: لا أرى أن أولي أبا موسى هذا ابن عباس، قالوا، لا نريد رجلاً منك، فبعث أبا موسى وأخر القضاء إلى رمضان، فقال عروة بن أذينة: تحكمون في أمر الله الرجال لا حكم إلا الله، ورجع علي من صفين فدخل الكوفة ولم تدخل معه الخوارج، فأتوا حروراء فنزل بها منهم اثنا عشر ألفًا وقالوا لا حكم إلا لله فكان هذا شعارهم الذي فارقوا به الإمام وجماعة المسلمين، ونتجت عن هذه المقولة مقولة أخرى هي التكفير بالمعاصي، وهي :

التكفير، تكفير علي ومعاوية والحكمين، ومن رضي بحكمهما، أخذاً بظاهر قوله تعالى : (إن الحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) ، ورتبوا على ذلك جميع لوازم الكفر، والتي منها أن علياً حين حكم الرجال لا إمامة له، فاعتقدوا أنهم في حل من إمامته وبيعته، وأنه يجب عليهم أن يؤمروا عليهم أميراً للمؤمنين – يعنون أنفسهم أي الخوارج – دون بقية المسلمين الذين صاروا في رأيهم كفاراً ما لم يلحقوا بهم، وأن كل من حكم الرجال أو رضي بالتحكيم فهو كافر .

فكان أن بايعوا عبد الله بن وهب الراسبي أميرًا عليهم

ثم تتابعت مقولات الخوارج الأولين المحكمة الحرورية وتجارت بهم الأهواء كما أخبر النبي ﷺ بذلك ، وأخذت البدع عندهم تتوالى و تزداد، ويجر بعضها بعضاً.

فتكلموا في تكفير أهل الذنوب من الأمة عموماً، فقالوا بأنهم كفار مخلدون في النار، وأحكامهم في الدنيا أحكام الكفار، ودارهم دار كفر واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم وقتالهم، فهذا ما كان عليه الخوارج الأوائل .

وأما تعطيل الله عن صفاته فلم يعرف فيهم لأنه لم يكن له وجود في ذلك العصر وهو عصر الصحابة وكبار التابعين، وإنما تأخر ظهوره إلى أواخر عصر التابعين من أوائل المائة الثانية لما ظهر "الجعد بن درهم" وصاحبه "الجهم بن صفوان" ومن تبعهما من المعتزلة وغيرهم على إنكار الصفات ، فلما ظهرت مقالات الجهمية والمعتزلة تبع الخوارج الذين بقوا المعتزلة فأنكروا الصفات ولم يثبتوها لله عز وجل، قال أبو الحسن الأشعري في كتابه المقالات:"فأما التوحيد فإن قول الخوارج فيه كقول المعتزلة".

وقال شيخ الإسلام : " أهل المقالات ذكروا أن قول الخوارج في الصفات هو قول الجهمية والمعتزلة هذا ذكره

الأشعري وغيره من المعتزلة وهذا والله أعلم يكون قول من تأخر من الخوارج إلى أن حدث التجهم في أول المائة الثانية وأما الخوارج الذين كانوا في زمن الصحابة وكبار التابعين فأولئك لم يكن قد ظهر في زمنهم التجهم أصلاً ولا عرف في الأمة إذ ذاك من كان ينكر الصفات أو ينكر أن يكون على العرش أو يقول إن القرآن مخلوق أو ينكر رؤية الله تعالى ونحو ذلك مما ابتدعته الجهمية من هذه الأمة "

أبرز أعلام الخوارج

ذكر الأشعري من أعلام الخوارج:

١ -مشاهير من الأدباء والشعراء : قال الأشعري : " ومن العلماء باللغة وهو من الخوارج أبو عبيدة معمر بن المثنى وكان صفرياً، ومن شعرائهم: عمران بن حطان وهو صفري".

٢-مؤلفوهم ومتكلموهم :قال الأشعري : "ومن مؤلفي كتبهم ومتكلميهم: عبد الله بن يزيد ومحمد بن حرب ويحيى بن كامل وهؤلاء إباضية واليمان بن رباب وكان ثعلبياً ثم صار بيهسياً وسعيد بن هارون وكان فيما أظن إباضياً".

وذكر الشهرستاني أن من رؤوس الخوارج :

أولا: الذين نازعوا عليًّا حين رفع المصاحف وأمروه بالتوقف : الأشعث بن قيس، ومسعود بن فدكي التميمي، وزيد بن حصين الطائي

ثانيًا: أهل حروراء وذكر من رؤوسهم : عبد الله بن الكواء، وعتاب بن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسبي، وعروة بن جرير، ويزيد بن أبي عاصم المحاربي، وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية.

ثالثًا: أول من بويع من الخوارج بالإمامة : عبد الله بن وهب الراسبي في منزل زيد بن الحصين. بايعه عبد الله بن الكواء، وعروة بن جرير، ويزيد بن عاصم الحاربي، وجماعة منهم

رابعًا: يقال أن أول من تلفظ ب (لا حكم إلا لله) الحجاج بن عبيد الله، يلقب بالبرك.

خامسًا: أول سيف سل من سيوف الخوارج سيف عرو بن حدير.

ومن أعلام الخوارج الذين كان لهم أثر :

١-نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي، الحروري، أبو راشد، رأس الأزارقة وإليه نسبتهم، كان أمير قومه وفقيههم من أهل البصرة، خرج على الناس في أواخر دولة يزيد بن معاوية، قتل سنة : ٦٥هـ.

٢- أبو فديك عبد الله بن ثور من بني قيس بن ثعلبة الخارجي، كان من أتباع نافع بن الأزرق رئيس الخوارج، ثم صار أميرا عليهم في مدة ابن الزبير، وكان الخوارج متغلبين على البحرين وما والاها، فأمر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر أن يندب الناس مع أهل الكوفة والبصرة ويسير إلى قتاله، فسار معه عشرة آلاف ، فحصل بينهم قتال شديد، وتمكن أصحاب عمر بن عبيد الله من دخول عسكر الخوارج فاستباحوا عسكرهم وقتلوا قائدهم أبا فديك وستة آلاف من أصحابه، وذلك في سنة: ٧٣ هـ.

٣- عطية بن الأسود اليمامي الحنفي، من بني حنيفة، من علماء الخوارج وأمرائهم، كان مع نافع بن الأزرق، ثم فارقه بسبب تكفير القعدة، ثم انصرف إلى نجدة بن عامر ثم فارقه بسبب أنه يرى الجهل بالشريعة عذرا، ثم فارقه فاتجه إلى سجستان

٤- نجدة بن عويمر وهو عامر الحنفيّ الخارج باليمامة، وكان رأساً ذا مقالة مفردة، وتسمّى بأمير المؤمنين ،وأقام نحو خمس سنين وعماله بالبحرين واليمامة وعمان وهجر وبعض أرض العرض، ثم نقم عليه أصحابه بعض الأمور التي أدت إلى قتله في سنة : ٧٠هـ

٥- عبد الله بن إباض رئيس فرقة الإباضية، المقاعسي المري التميمي، من بني مرة بن عبيد بن مقاعس، كان معاصرا لمعاوية رضي الله عنه، وعاش إلى أواخر أيام عبد الملك بن مروان.

٦- زياد بن الأصفر رئيس فرقة الصفرية وهي من فرق الخوارج الرئيسية

٧-أبو بَيْهَس الهيصم بن جابر وهو أحد بني سعد بن ضبيعة رئيس البَيْهَسِيَّةُ، وقد كان الحجاج طلبه أيام الوليد ،فهرب إلى المدينة فطلبه بها عثمان بن حيان المزني فظفر به وحبسه، وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ففعل به ذلك

٨- شبيب بن يزيد بن أبي نعيم الخارج في خلافة عبدالملك بن مروان، وصاحب الحروب العظيمة مع الحجاج بن يوسف الثقفيّ توفي سنة: ٧٧هـ.

٩- عبد الكريم بن عجرد رئيس فرقة العجاردة وهي من فرق الخوارج الرئيسية

١٠- الضحاك بن قيس الشيباني، من علماء الخوارج وزعمائهم، خرج مع سعيد بهدل سنة : ١٢٦هـ، في مائتين من حرورية الجزيرة، ومات سعيد سنة : ١٢٧هـ. فخلفه الضحاك، واجتمعت عليه الصفرية حتى صار في أربعة آلاف، فسار إلى العراق واستولى على الكوفة، وصالحه أهل واسط، واحتل الموصل وأصبح عدد جيشه مائة ألف فقصده الخليفة مروان بن محمد ، فالتقيا بنواحي كفرتوثا، فقتل فيها سنة: ١٢٩هـ.

فرق الخوارج وأماكن وجودهم في العصر الحاضر : الخوارج افترقوا إلى عدة فرق ، وأهم هذه الفرق هي :

الفرقة الأولى: المُحَكِّمَة : وهم الذين خرجوا على علي رضي الله عنه عند التحكيم فكفروه وكفروا كل من رضي بالتحكيم ، وقالوا لا حكم إلا لله.

قال الآمدي في بيان عقائدهم: (وهم مجمعون على تجويز الإمامة في غير قريش، وأن كل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس بالعدل، واجتناب الجور؛ كان إماما، وإن غيّر السيرة، وعدل عن الحق، وجب عزله أو قتله، وجوزوا أن لا يكون في العالم، إمام أصلا، وأجمعوا أيضا على تخطئة عليّ في التحكيم، وتكفيره؛ وتكفير عثمان وأكثر الصحابة، وتكفير مرتكب الكبيرة)

الفرقة الثانية: الأَزَارِقَة: وهم أتباع رجل منهم يقال له أبو راشد نافع بن الأزرق الحنفي ، ولم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عددا، وأشد منهم شوكة .

قال المقريزي في بيان عقائد هذه الفرقة: (وهم على التبرّي من عثمان وعليّ والطعن عليهما، وأن دار مخالفيهم دار كفر، وأن من أقام بدار الكفر فهو كافر، وأن أطفال مخالفيهم في النار، ويحل قتلهم، وأنكروا رجم الزاني وقالوا: من قذف محصنة حدّ، ومن قذف محصناً لا يحد، ويُقطع السارق في القليل والكثير).

الفرقة الثالثة: النَّجَدَاتُ : أتباع نجدة بن عويمر، وهو عامر الحنفيّ الخارج باليمامة، وكان رأساً ذا مقالة مفردة، وتسمّى بأمير المؤمنين.

قال الشهرستاني في بيان عقائدهم: (استحل نجدة بن عامر دماء أهل العهد والذمة وأموالهم في حال التقية، وحكم بالبراءة ممن حرمها. قال: وأصحاب الحدود من موافقيه لعل الله تعالى يعفو عنهم، وإن عذبهم ففي

غير النار ثم يدخلهم الجنة، فلا تجوز البراءة عنهم. قال: ومن نظر نظرة أو كذب كذبة صغيرة أو وأصر عليها فهو مشرك، ومن زنى وشرب وسرق غير مصر عليه فهو غير مشرك، وغلظ على الناس في حد الخمر تغليظا شديدا.

وأجمعت النجدات على أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط، وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن هم رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه فأقاموه جاز) .

الفرقة الرابعة: الصفرية : قال الشهرستاني: (أصحاب زياد بن الأصفر، خالفوا الأزارقة والنجدات والإباضية في أمور منها: أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولم يسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار. وقالوا: التقية جائزة في القول دون العمل، وقالوا: ما كان من الأعمال عليه حد واقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا والسرقة والقذف فيسمى زانيا سارقا قاذفا لا كافرا مشركا، وما كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة والفرار من الزحف فإنه يكفر بذلك. ونقل عن الضحاك منهم أنه جوز تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية دون دار العلانية).

الفرقة الخامسة : البَيْهَسِيَّةُ أتباع بيهس، واسمه الهيصم بن جابر ، قالوا: الإيمان هو العلم بالله – تعالى – وما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم، فمن وقع فيما لا يعرف، أحلال هو أم حرام، فهو كافر لوجوب الفحص عنه، وقيل: لا، حتى يرجع إلى الإمام فيحده، وما لا حد فيه فمغفور، وقيل: إذا كفر الإمام، كفرت الرعية حاضرا كان أو غائبا، والأطفال كآبائهم إيمانا وكفرا.

الفرقة السادسة: العَجَارِدَةُ قال عبد القاهر البغدادي معرفا بهم وبعقائدهم: (أتباع عبد الكريم بن عجرد، وكان عبد الكريم من اتباع عطية بن الأسود الحنفي، وقد كانت العجاردة مفترقة عشر فرق يجمعها القول: بأن الطفل يدعى إذا بلغ وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يدعى إلى الإسلام، أو يصفه هو، وفارقوا الأزارقة في شيء آخر، وهو أن الأزارقة استحلت أموال مخالفيهم بكل حال، والعجاردة لا يرون أموال مخالفيهم فيئا إلا بعد قتل صاحبه، فكانت العجاردة على هذه الجملة إلى إن افترقت فرقها) إلى عشرة فرق .

الفرقة السابعة: الإباضية: وهم أتباع عبد الله بن أباض خرج أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، يعتقدون أن مخالفيهم كفار غير مشركين ، تجوز مناكحتهم، وتحرم أموالهم ودماؤهم إلا في الحرب ،ويعتبرون دار مخالفيهم دار توحيد، إلا عسكر السلطان فإنه دار كفر ،وقالوا في مرتكبي الكبائر: إنهم موحدون لا مؤمنون.

أشهر مواطن الخوارج : قال أبو الحسن الأشعري : " والكور التي الغالب عليها الخارجية: الجزيرة والموصل وعمان وحضرموت ونواح من نواحي المغرب ونواح من نواحي خراسان وقد كان لرجل من الصفرية سلطان في موضع يقال له سجلماسة على طريق غانة"

وقال السكسكي في البرهان:" والغالب على مساكنهم – فيما تقدم – : عمان، والموصل، وحضرموت وفلجاح –الأفلاج–، وجزيرة كيسوان في بلاد فارس، ومغرب الشام، وصنعاء اليمن " .

وقال: والفرقة العاشرة من الخوارج هم الشراة، الذين يكفرون أصحاب المعاصي في الصغائر والكبائر، ويتبرؤون من الختنين: عثمان وعلي، ويتولون الشيخين أبا بكر وعمر، وهم لا يستحلون أموال الناس ولا يسبون النساء، ولا يخالفون في دين ولا سنة، وهم يقولون: العصاة كفار نعمة لا كفار شرك، وهم في ناحية هراة، وإصطخر بين داراجرد وكرمان، ولهم كتب وضعوها على تصحيح مذهبهم، فيها حجج وكلام صعب، وفيهم علماء، وفقهاء، ولهم مروءة ظاهرة، ودنيا واسعة وخصب، وقد ظهر فيهم اليوم مذاهب المعتزلة، فمنهم من ترك مذهبه وقال بالاعتزال فنعوذ بالله من الضلال كله"

وقال الملطي بعد ذكره لإحدى فرق الخوارج : "وهم بناحية سجستان، وهراة، وخراسان، وهم عالم كثير لا يعرف عددهم إلا الله، وهم أصحاب خيل وشجاعة".

أما في عصرنا، فإن أبرز مواطن الإباضية في عمان والشمال الأفريقي.

الأصول العقدية العامة للخوارج مع بيان بطلانها : الأصول العقدية التي اتفق عليها الخوارج هي:

١–تكفيرهم لبعض الصحابة . ٢–تكفيرهم أصحاب الذنوب.

٣–إيجابهم الخلود في النار لأصحاب الكبائر ، وإنكارهم الشفاعة لهم. ٤– الخروج على الإمام .

١–تكفيرهم لبعض الصحابة: الخوارج يطعنون في كثير من الصحابة ويتبرؤون منهم ولا يتولون منهم إلا

القليل، فالخلفاء الراشدون يحبون منهم أبا بكر وعمر –رضي الله عنهما – ويتولونهما ويقولون بإمامتهما، وأما عثمان رضي الله عنه فكانوا يتولونه في أول خلافته ثم ادعوا أنه أحدث أحداثا تبرؤوا منه من أجلها، وكذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانوا يتولونه قبل قبوله التحكيم بينه وبين معاوية رضي الله عنه ، فلما قبل بذلك تبرؤوا منه وكفروه، قال أبو المظفر الإسفراييني في بيان عقيدة الخوارج في الصحابة : (يزعمون أن عليًّا، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، وكل من رضي بالحكمين كفروا كلهم)).

الرد عليهم : أن الله أثنى عليهم ونص على عدالتهم والرضا عنهم في آيات كثيرة جلية واضحة، فمن ذلك قوله : {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} وقوله: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} . وكان عددهم أكثر من ألف وأربعمائة، بايعوه لما صده المشركون عن العمرة

٢–وأما الأدلة من السنة على عدالتهم فكثيرة جدا ،فمن ذلك : قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبّوا أصحابي، لا تسبّوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه" متفق عليه .

قال شيخ الإسلام : (قد ثبت بالنصوص الصحيحة أن عثمان وعليا وطلحة والزبير وعائشة من أهل الجنة. بل قد ثبت في الصحيح " {أنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة} . وأبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان هم من الصحابة ولهم فضائل ومحاسن. وما يحكى عنهم كثير منه كذب؛ والصدق منه إن كانوا فيه مجتهدين: فالمجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر وخطؤه يغفر له)

٢–تكفيرهم أصحاب الذنوب:اختلف حكم الخوارج على أهل الذنوب، وحاصل الخلاف نوجزه فيما يلي:

١– الحكم بتكفير العصاة كفر ملة، وأنهم خارجون عن الإسلام ومخلدون في النار مع سائر الكفار. وهذا رأي أكثرية الخوارج.

٢- أنهم كفار نعمة وليس كفار ملة: وعلى هذا المعتقد فرقة الإباضية . ومع هذا فإنهم يحكمون على صاحب المعصية بالنار إذا مات عليها، ويحكمون عليه في الدنيا بأنه منافق، ويجعلون النفاق مرادفاً لكفر النعمة ويسمونه منزلة بين المنزلتين أي بين الشرك والإيمان، وأن النفاق لا يكون إلا يكون إلا في الأفعال لا في الاعتقاد

أدلة الخوارج على التكفير : تلمس الخوارج لما ذهبوا إليه من تكفير أهل الذنوب بعض الآيات والأحاديث وتكلفوا في رد معانيها إلى ما زعموه من تأييدها لمذاهبهم وهي نصوص تقسم الناس إلى فريقين: مؤمن وكافر، قالوا: وليس وراء ذلك الحصر من شيء. ونأخذ من تلك الأدلة قوله تعالى:

١- {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ}. سورة التغابن: الآية (٢)

٢- {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} سورة المائدة: الآية (٤٤)

٣- {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} سورة سبأ: آية (١٧) إلى غير ذلك من الآيات.

ووجه استدلالهم بالآية الأولى: أن الله تعالى حصر الناس في قسمين: قسم ممدوح وهم المؤمنون وقسم مذموم وهم الكفار، والفساق ليسوا من المؤمنين، فإذاً هم كفار لكونهم مع القسم المذموم

الرد عليهم: أن استدلالهم أن الناس ينحصرون فقط في الإيمان أو الكفر لا يسلم لهم ، فهناك قسم ثالث وهم العصاة لم يذكروه هنا، وذكر فريقين لا يدل على نفى ما عداهما والآية كذلك واردة على سبيل التبعيض بمن، أي بعضكم كافر وبعضكم مؤمن. وهذا لا شك في وقوعه ولم تدل الآية على مدعى الخوارج أن أهل الذنوب داخلون في الكفر.

وأما وجه استدلالهم بالآية الثانية: قالوا: أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فإنه كافر، لأن الحكم بغير ما أنزل الله كبيرة وكل كبيرة كفر.

الرد عليهم: أن الحكم بغير حكم الله منه ما يكون كفرًا أكبر ، ومنه ما يكون كفرًا أصغر ، فيكون الحكم بغير حكم الله كفرًا أكبر في الأحوال التالية:

١-أن يعتقد أن الحكم بغير الله أنفع للعباد من حكم الله

٢-أن يعتقد جواز الحكم بغير حكم الله

٣-أن يعتقد أن الحكم بغير حكم الله مساو لحكم الله

ويكون الحكم بغير الله كفرًا أصغر فيمن كان مقرًا بوجوبه لكن حكم لهوى في نفسه كأن يحكم بغير حكم الله محاباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة ، أو نحو ذلك من أغراض الدنيا فهذا يكون كافرًا كفرًا أصغر

وأما وجه استدلالهم بالآية الثالثة. فهو أن صاحب الكبيرة لابد وأن يجازي – على مذهبهم – وقد أخبر القرآن أنه لا يجازى إلا الكفور. والفاسق ثبتت مجازاته عندهم فيكون كافراً.

وهذا الدليل مردود عليهم، وينقضه أن الله يجازي الأنبياء والمؤمنين وهم ليسوا كفاراً، وبأن الآية كانت تعقيباً لبيان ذلك العقاب الذي حل بأهل سبأ، وهو عقاب الاستئصال، وهذا ثابت للكفار لا لأصحاب المعاصي.

وأما ما استدلوا به من السنة على بدعتهم في تكفير العصاة من المسلمين فقد أساءوا فهم الأحاديث وحملوها المعاني التي يريدونها، ومن تلك الأحاديث ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن)) متفق عليه ، ولهم أدلة أخري نكتفي منها بهذا الحديث.

فقد فهموا من هذا الحديث نفى الإيمان بالكلية عن من فعل شيئاً مما ذكر في الحديث، وهذا لا حجة لهم فيه، فإن الحديث –كما يذكر العلماء – إما أن يكون واردا فيمن فعل شيئاً مما ذكر مستحلاً لتلك الذنوب أو أن المراد به نفي كمال الإيمان عنهم، أو أن نفي الإيمان عنهم مقيد بحال مواقعتهم لتلك الذنوب. ولو كانت تلك الكبائر تخرج الشخص عن الإيمان لما اكتفى بإقامة الحد فيها.

وقد جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: ((ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت وإن زني وإن سرق ثلاثاً ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر) رواه مسلم

٣-**إيجابهم الخلود في النار لأصحاب الكبائر ، وإنكارهم الشفاعة لهم**: لما حكم الخوارج على أهل الكبائر بالكفر والخروج عن ملة الإسلام ، حكموا عليهم بالخلود في النار ، وعدم الخروج منها بشفاعة أو غيرها، قال شيخ الإسلام : (وعند الخوارج والمعتزلة أنه لا يشفع لأهل الكبائر، لأن الكبائر عندهم لا تغفر ولا يخرجون من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا بغيرها).

وقال البغدادي: (أنكرت الخوارج والقدرية الشفاعة في أهل الذنوب).

أدلة الخوارج على نفي الشفاعة لأهل الكبائر : أبرز ما استدلوا به ما يلي :

١- الآيات التي نفت الشفاعة مثل: قوله تعالى: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}، وقوله تعالى: { مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ}

الرد عليهم : أن الآيات خاصة بالكفار، ولا يدخل فيها أصحاب الكبائر من المسلمين.

٢-آيات فهموا منها نفي الشفاعة عن مرتكب الكبيرة مثل قوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى}

الرد عليهم : أن البيهقي -رحمه الله – رد على الخوارج استدلالهم بهذه الآية بما رواه بسنده عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل: « {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون» } فقال صلى الله عليه وسلم: «إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»

٣- ما رواه الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تنال الشفاعة أهل الكبائر من أمتي»

الرد عليهم : أن الحديث لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو من أكاذيب المعتزلة التي أرادوا بها دفع ما ثبت في كتب السنة، قال العمراني: (هذا خبر لم يذكره أحد من أئمة الحديث، ولا ذكر في شيء من الأصول المشهورة في الأمصار كمسلم، والبخاري، وسنن أبي داود والترمذي والآجري، وإنما ذكرته المعتزلة ليرو أتباعهم أن معهم رواية يعارضون بها الأخبار المشهورة عند أهل السنة)

٤-استدلوا بالأدلة المشعرة بخلود الفساق، قالوا لو كانت شفاعة لما كان خلودا.

والأدلة التي استدلوا بها مثل قوله تعالى : {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا}

أجاب العلماء عن ذلك بما يلي :

١-أن الله عز وجل ذكر الخلود بغير تأبيد، فيكون المراد بالخلود المكث الطويل

٢- أن هذا الوعيد لمن استحل القتل

٣-أن هذا جزاؤه إن جزاه غير أنه لا يخلد في النار، وقد يعفو عنه ولا يجازيه

والحاصل من ذلك أن القاتل المسلم إن دخل النار لا يخلد فيها ، لأنه قد تواردت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى ذرة من إيمان

٤- الخروج على الإمام : يرى الخوارج وجوب الخروج على الإمام الجائر وقتاله بالسيف ، قال أبو الحسن الأشعري: (وأما السيف فإن الخوارج تقول به وتراه، إلا إن الإباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف، ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف).

وقال الشهرستاني: (وكل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إماما، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه، وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله).

الرد عليهم : أن ما ذهب إليه الخوارج من الخروج على الإمام الجائر أمر باطل ، مخالف لما دلت عليه النصوص الشرعية من وجوب الصبر على الإمام وعدم الخروج عليه فمن ذلك :

عن عبد الله بن مسعود عن النبي قال: «إنكم سترون بعدي أثرة، وأمورا تنكرونها» قلنا: فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال: «أعطهم حقهم الذي جعل الله لهم، وسلوا الله حقكم» رواه البخاري

وعن نافع قال: جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» رواه مسلم

وعن ابن عباس عن النبى قال: «من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية» رواه مسلم

قال النووي:(وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق)

التعريف بالإباضية: الإباضية : هم أصحاب عبد الله بن أباض ، أحد بني مرة بن عبيد ، من بني تميم ، رهط الأحنف بن قيس ، وابن أباض يعد من طبقة التابعين ، ولم تذكر المصادر الموثوقة تاريخ وفاته وولادته ، لكنها تجمع على أنه عاصر عبد الملك بن مروان ، المتوفى سنة (٨٦ هـ) ، وأنه أحد رؤوس الخوارج . وقد أجمعت الإباضية قديماً وحديثاً على إمامته فيهم وانتسابهم إليه .

نشأتها : الإباضية في أصل نشأتها العقدية والتاريخية فرقة من فرق الخوارج نشأت على أصولهم، وتفرعت عنهم كسائر فرقهم الكبرى، ذلك أن ابن أباض، الذي تنتمي إليه، نشأ خارجياً وهو يُعد من رؤوس الخوارج في زمنه، ويقرن تاريخه ومواقفه مع كبارهم كنافع بن الأزرق، وأبي بلال مرداس، وعبد الله بن الصفار السعدي وحنظلة بن بيهس، وحسان بن بحرج، وأبي طالوت، وأبي فديك وعطية بن الأسود البكري ونجدة بن عامر الحنفي، وعبيد الله بن الماجوز وأخويه عبد الله والزبير.

فكان عبد الله بن أباض واحداً منهم خارجاً عن جماعة المسلمين وعلى أئمتهم، منابذاً للأئمة العداء، كما كان ناقماً على عثمان بن عفان وعلي – رضي الله عنهما ، وكان يعلن ذلك، ومواقفه تشهد بذلك منذ خلافة معاوية – رضي الله عنه – إلى خلافة عبد الملك، وإنما كان كغيره من مؤسسي فرق الخوارج، فقد كانوا تحت قيادة واحدة حين أعلنوا عداءهم لابن الزبير، وكان ابن أباض مثلهم في ذلك، بل كان أحدهم، إلا أنهم حين انفضوا عن ابن الزبير ورأى نافع بن الأزرق أن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل، وأنهم لا تحل مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا ميراثهم ولا الإقامة بينهم، حينئذ خالفه ابن الصفار، فأنشأ فرقة : (الصفرية) .

وخالفه ابن أباض وقال: إن القوم – يعني المسلمين – براء من الشرك، ولكنهم كفار بالنعم، ولا يحل لنا إلا

دماؤهم، وبهذا نشأت فرقة (الإباضية)، ومن ثم جاءت تسمية الذين لم يخرجوا مع نافع بن الأزرق (القعدة) وأتباع نافع بن الأزرق سموا : (الأزارقة).

أصول الإباضية ومصادرهم :الإباضية في أصولها العقدية فرع عن الخوارج، وتلتقي معهم في أغلب أصولهم، وخلافهم مع الخوارج كان في موقفهم من مخالفيهم من أهل القبلة ، وحكم الإقامة معهم ومتى يكون قتالهم، وأحكامهم في السلم والحرب.

مصدر التلقِّي عندهم: مصدر التلقِّي عندهم بعد القرآن هو مسند الربيع بن حبيب فهو أصح كتاب عندهم بعد القرآن، ومؤلفه الربيع بن حبيب البصري، وقد اعتنوا بهذا المسند فشُرِح عدة شروح، كما رُتِّب على الأبواب الفقهية، فجاء في أربعة أجزاء صغيره ضمن مجلد واحد .

قال الشيخ الألباني رحمه الله : (والربيع بن حبيب – وهو الفراهيدي البصري – إباضي مجهول ليس له ذكر في كتب أئمتنا، ومسنده هذا هو " صحيح الإباضية "! وهو مليء بالأحاديث الواهية والمنكرة)

علاقة الإباضية بالخوارج : اتفقت كلمة علماء الفرق –الأشعري فمن بعده– على عد الإباضية فرقة من فرق الخوارج، وليس المخالفون للإباضية فقط هم الذين اعتبروهم في عداد الخوارج، وإنما بعض علماء الإباضية المتقدمون أيضاً؛ إذ لا يوجد في كلامهم ما يدل على كراهيتهم لعد الإباضية فرقة من الخوارج.

وبعض الأباضية المتأخرين عبثاً وتكلفاً حاول أن يخرج الإباضية من الخوارج ، وهذه مغالطة لا يقرهم عليها أحد من أهل العلم ، بل إن الإباضية أنفسهم يعتقدون ويقولون ويؤرخون لدعوتهم بما يعطينا الأدلة القاطعة بأنهم من الخوارج (القعدة) ، وإليك الدليل بإيجاز :

(أ) الإباضية يوالون الخوارج الأول (المحكمة) و (الحرورية) أهل النهروان الذين خرجوا على علي والصحابة وجماعة المسلمين ، وقاتلوهم كعبد الله بن وهب الراسبي (ويعدونه إماماً) ، وبقية رؤوسهم كحرقوص ومرداس وابن حصين ، وتعتز الإباضية بإمامتهم ، وأنها أخذت عنهم الدين

وبعضهم جعل من ألقاب الإباضية في المغرب (وهبية) ، نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي الحروري

(ب) أن افتراق الإباضية عن بقية الخوارج كان على مسائل قليلة ، وبقيت سائر أصولهم هي أصول الخوارج

، فهم كالصفرية ، بل إن الصفرية والإباضية كلهم يمثلون الخوارج (القعدة) الذين قعدوا عن الخروج مع نافع بن الأزرق ، ثم انشعبت القعدة إلى شعبتين على هذا النحو ، فكانت الإباضية أكثر مسالمة للمسلمين ، وأخف نزوعاً إلى التكفير ، وأكثر ميلا إلى التعايش مع سواهم . لكنهم لم يخضعوا لسلطة الولاية الشرعية ، وكلما قويت شوكتهم حاربوا من يليهم وقاتلوا أئمة المسلمين وجماعتهم ، كما هو واضح من تاريخهم ، الذي سطروه لا سيما في شمال أفريقيا .

أبرز ما خالف فيه الإباضية أهل السنة والجماعة :

الإباضية في أصولها العقدية فرع عن الخوارج ، وتلتقي معهم في أغلب أصولهم ، وخلافهم مع الخوارج كان في موقفهم من مخالفيهم من أهل القبلة ، وحكم الإقامة معهم ومتى يكون قتالهم ، وأحكامهم في السلم والحرب، ومن أبرز مقالات الإباضية ما يلي :

١- نفي صفات الله تعالى ، وتأويل أكثر الصفات الخبرية ، تعتقد الإباضية إن صفات الله عين ذاته وأن الاسم والصفة بمعنى واحد ، وبذلك يخالفون، أهل السنة ويوافقون المعتزلة ،قال أبو الحسن الأشعري: (فأما التوحيد فإن قول الخوارج فيه كقول المعتزلة)

يقول السالمي:

أسماؤه وصفات الذات ليس بغير الذات بل عينها فافهم ولا تحلا

وهو على العرش والأشيا استوى وإذا عدلت فهو استواء غير ما عقلا

وإنما استوى ملك ومقدرة له على كلها استيلاء وقد عدلا

كما يقال استوى سلطانهم فعلى على البلاد فحاز السهل والجبلا

وشنع الورجلاني على الذين يثبتون الصفات بأنهم مشبهة كعبادة الأوثان وأن مذهب أهل السنة هو – حسب زعمه – تأويله الصفات فاليد النعمة والقدرة والوجه الذات ومجيء الله مجيء أمره لفصل القضاء لأن إثبات هذه الصفات لله هو عين التشبيه كما يزعم

ومن المعلوم أن هذا ليس هو مذهب السلف الذي يثبتون الصفات لله كما وصف نفسه في كتابه الكريم

ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل. قال ابن تيمية في بيان مذهب السلف: ((أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل)) .

ويقول ابن القيم: ((لا ريب أن الله وصف نفسه بصفات وسمى نفسه بأسماء، وأخبر عن نفسه بأفعال وأخبر أنه يحب ويكره ويمقت ويغضب ويسخط ويجئ ويأتي وينزل إلى السماء الدنيا، وأنه استوى على عرشه، وأن له علما وحياة وقدرة وإرادة وسمعا وبصراً ووجهاً، وأن له يدين وأنه فوق عباده وأن الملائكة تعرج إليه وتنزل من عنده، وأنه قريب، وأنه مع المحسنين ومع الصابرين ومع المتقين، وأن السموات مطويات بيمينه، ووصفه رسوله بأنه يفرح ويضحك وأن قلوب العباد بين أصابعه وغير ذلك))

فهل يعتبر هذا الوصف تشبيه لله بخلقه؟ {قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ}

وطريقة السلف في إثبات كل صفة لله أنهم يقولون فيها أنها معلومة والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة. وأن الله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} . وهذه الآية أساس واضح في إثبات الصفات لله.

ولم ير أهل السنة أن إثبات الصفات يؤدي إلى التشبيه لمعرفتهم أن الإتقان في التسمية لا يستلزم الاتفاق في الذات فالله سميع وبصير والإنسان بصير وبين الذاتين ما يعرفه كل عاقل من الفرق ومن تصور التشبيه فقد جمع بين التشبيه والتعطيل.-

٢- وذهبت الإباضية في باب رؤية الله تعالى إلى إنكار وقوعها لأن العقل -كما يزعمون - يحيل ذلك ويستبعده واستدلوا بقوله تعالى: {لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} وأولوا معنى الآية تأويلاً خاطئاً على طريقة المعتزلة.

ومن أدلتهم قوله تعالى {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} .

واستدلوا من السنة بحديث عائشة حين سئلت عن الرسول صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة الإسراء فأجابت بالنفى كما رواه صاحب وفاء الضمانة وقد أورد الربيع بن حبيب صاحب كتاب الجامع الصحيح

أو مسند الربيع الذي هو عندهم بمنزلة صحيح البخاري ومسلم عند أهل السنة ويعتبرونه أصح كتاب بعد القرآن الكريم – كما يزعمون. أورد عدة روايات عن بعض الصحابة – تدل على إنكارهم رؤية الله تعالى بزعمه والواقع أن كل استدلالاتهم التي شابهوا فيها المعتزلة، إما استدلالات غير صحيحة الثبوت أو صحيحه ولكن أولوها على حسب هواهم في نفي الرؤية.

فإن الآية الأولى ليس فيها نفي الرؤية وإنما نفي الإحاطة والشمول فالله يرى ولكن من غير إحاطة به عز وجل.

وقوله لموسى {لن تراني} أي في الدنيا وقد علق الله إمكان رؤيته تعالى بممكن وهو استقرار الجبل.

وحديث عائشة إنما أرادت نفى أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه في ليلة الإسراء وليس المقصود نفي الرؤية مطلقاً فهذا لم ترده أم المؤمنين ومن فهم النفي مطلقاً فهو سيئ الفهم جاهل بالنصوص.

وخلاصة القول في هذه المسألة أن رؤية الله تعالى تعتبر عند السلف أمراً معلوماً من الدين بالضرورة لا يماري فيها أحد منهم بعد ثبوتهم في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفي أقوال الصحابة رضي الله عنهم وفي أقوال علماء السلف قاطبة رحمهم الله تعالى.

ومن الأدلة الصريحة في إثبات الرؤية قوله صلى الله عليه وسلم «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ؛ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا» . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

٤- ومن عقائد بعض الإباضية في كلام الله تعالى القول بخلق القرآن – بل حكم بعض علمائهم كابن جميع والورجلاني أن من لم يقل بخلق القرآن فليس منهم.

وعقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن منزل غير مخلوق ، يقول شيخ الإسلام –رحمه الله –: (مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود)

وقال الآجري: (اعلموا رحمنا الله وإياكم أن قول المسلمين الذين لم يزغ قلوبهم عن الحق، ووفقوا للرشاد قديما

وحديثا أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من علم الله، وعلم الله لا يكون مخلوقا، تعالى الله عن ذلك دل على ذلك القرآن والسنة، وقول الصحابة وقول أئمة المسلمين لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث، والجهمي فعند العلماء كافر) والنصوص الدالة على أن كلام الله منزل غير مخلوق كثيرة جدا منها قوله عز وجل: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} وقوله عز وجل: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ}

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعَانًا لقوله كأنه سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ ». قال: «فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير

وجه الدلالة من الحديث أن الملائكة لما ذهب عنهم الفزع قالوا: ماذا قال ربكم، ولم يقولوا ماذا خلق ربكم، ولو كان كلام الله مخلوقا لقالوا ماذا خلق ربكم

٥-اختلف الأباضيون في إثبات عذاب القبر. فذهب قسم منهم إلى انكاره موافقين بذلك سائر فرق الخوارج. وذهب قسم آخر إلى إثبات

ومعتقد السلف جميعاً هو القول بثبوت عذاب القبر ونعيمه كما صحت بذلك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة ومن أنكره فليس له دليل إلا مجرد الاستبعاد ومجرد الاستبعاد ليس بدليل.

ومن الأدلة : عَن ابْن عَبَّاس أَن النَّبِي مر بقبرين فَقَالَ:" إنهما ليعذبان وَمَا يعذبان فِي كَبِير أما أَحدهمَا فَكَانَ لَا يستبرئ من الْبَوْل وَأما الآخر فَكَانَ يمشي بالنميمة ثمَّ دَعَا بجريدة رطبَة فَشَقهَا نِصْفَيْنِ فَقَالَ لَعَلَّه يُخَفف عَنْهُمَا مَا لم ييبسا" متفق عليه، وعَن أَبى هُرَيْرَة أَن النَّبِي قَالَ: " إِذا فرغ أحدكُم من التَّشَهُّد الْأَخير فليتعوذ بِاللَّه من أَربع من عَذَاب جَهَنَّم وَمن عَذَاب الْقَبْر وَمن فتْنَة الْمحيا وَالْمَمَات وَمن فتْنَة الْمَسِيح الدَّجَّال" رواه مسلم

٦- وأما بالنسبة للشفاعة: فإن الإباضية يثبتونها ولكن لغير العصاة للمتقين.

ومذهب أهل السنة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشفع في عصاة المؤمنين أن لا يدخلوا النار ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها بعد إذن الله ورضاه وثبت أن الله يقبل شفاعته في ذلك وشفاعة الصالحين من

عباده بعضهم في بعض.

٧-وافق -معظم الإباضية - السلف في حقيقة الإيمان من أنه قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان

٨-أما مسألة زيادة الإيمان فهم فريقان :

فريق يقول: إن الإيمان يزيد و ينقص ، والفريق الثاني يقول: الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٩- مسألة مرتكب الكبيرة : مذهب السلف أن أصحاب الكبائر من أهل القبلة عصاة فساق ، وأن مرتكب الكبيرة لا يكفر في الدنيا ، وفي الآخرة فهو تحت مشيئة الله إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له ، وإن دخل النار لا يخلد فيها ، بل يخرج منها ويدخل الجنة .

وأما الإباضية فتقول إن مرتكب الكبيرة كافر ، ويفسرون بأن معناها كفر النعمة ، ويقولون بأنه مثل كفر النفاق . وهذا في الدنيا ، وفي الآخرة يرون أن مرتكبي الكبيرة وعصاة الموحدين إذا ماتوا على ذلك فهم في النار خالدين فيها أبداً ، ويرون أن كل كبيرة كفر ،والمنافق من فعل كبيرة أسرها أو أظهرها ،وعلى هذا فهم يخالفون أهل السنة في الأمرين مخالفة كبيرة .

١١-طعنهم في بعض الصحابة : الإباضية وقعت في بعض أصحاب رسول الله ، كما فعلت سائر الخوارج، وكما فعلت الرافضة، إلا أنهم أقل غلواً في ذلك.

فالإباضية تطعن في عدد من أجلاء الصحابة، كعثمان وعلي وعمرو بن العاص ومعاوية وطلحة والزبير - رضي الله عنهم - وأصحاب الجمل، ولا يترضون عن جميع الصحابة فيقولون: نترضى عنهم إلا من أحدث، ويعدون جملة من خيار الصحابة على أنهم أحدثوا، وبهذا يوافقون الرافضة والمعتزلة.

وهذه مسألة كبيرة تعد من الفوارق الرئيسة بينهم وبين أهل السنة، كما تعد من الأصول الكبرى التي أخرجتهم عن منهج السلف وجعلتهم في عداد الفرق والأهواء.

١٢- الخروج على الأمام ، من عقيدة أهل السنة والجماعة عدم جواز الخروج على الحاكم المسلم، وإن جار وظلم ما لم يخرج عن ملة الإسلام، وحجتهم في ذلك ما ورد عن النبي من الأحاديث الكثيرة الصحيحة في المنع من ذلك، ولما يترتب على الخروج عليه من مفاسد عظيمة على العباد والبلاد تفوق مفاسد ظلمه وجوره.

أما الإباضية فيقولون إن الإمام إذا ارتكب كبيرة حل دمه وجاز الخروج عليه، ويرون أن الخروج على الأئمة لرفع الظلم ورد العدوان وإزالة الحاكم الظالم المفسد مشروع وواجب.

١١- مسائل أخرى خالفت فيها الإباضية أهل السنة :

أ-الميزان: الذي جاءت به النصوص وثبت أن له كفتان حسيتان مشاهدتان توزن فيه أعمال العباد كما يوزن العامل نفسه فإن الإباضية تنكر هذا الوصف ويثبتون وزن الله للنيات والأعمال بمعنى تمييزه بين الحسن منها والسيئ وإن الله يفصل بين الناس في أمورهم ويقفون عند هذا الحد غير مثبتين ما جاءت به النصوص من وجود الموازين الحقيقية في يوم القيامة وعلى الصفات التي جاءت في السنة النبوية.

ب- وكما أنكر الإباضية الميزان أنكروا كذلك الصراط وقالوا إنه ليس بجسر على ظهر جهنم .

والسلف على اعتقاد أن الصراط جسر جهنم وأن العباد يمرون عليه سرعة وبطئاً حسب أعمالهم ومنهم من تخطفه كلاليب النار فيهوى فيها.

١٢- لتجويز التقية قالوا: إن مسالك الدين أربعة:

الأول: مسلك الظهور: وهي المرحلة التي يكون فيها الحكم شرعيا بمقتضى شروطهم، وفي هذه الفترة يحرم الخروج، ويمثلها عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ودويلاتهم التي قامت في التاريخ كالدولة الرستمية.

الثاني : مسلك الدفاع: ويعنون به إعلان الخروج على الأئمة الظلمة والطغاة وعلى الأمة أن لا ترضى بالفسق والعصيان، ويمثله عبد الله بن وهب الراسبي، زعيم الخوارج في النهروان.

الثالث : مسلك الشراء: ويعنون به أن الأمة إذا لم تقسم بالمسلك الأول والثاني انبرى منهم أربعون رجلا يضحون بأنفسهم ويعلنون الخروج والثورة على الظلم تشجيعا للأمة على الثورة ورد الظلم بزعمهم، ويمثلهم أبو بلال مرداس بن حدير.

الرابع مسلك الكتمان ويكون في حال الضعف للمحافظة على البقاء، ويمثلها مسلم بن أبي كريمة، وجابر بن زيد .

أماكن الإباضية قديمًا وحديثًا :

(أ) عمان والمشرق الإسلامي وزنجبار :

أول ما نشأت الإباضية بصفتها فرقة متميزة في عمان وما حولها، وذلك في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وذلك بعد سنة (٦٤هـ)، حين خالف ابن أباض نافعاً بن الأزرق في موقفه من المسلمين حين قال نافع : إنهم مشركون وتجري عليهم أحكام المشركين، وقال ابن أباض : إنهم كفار نعمة يقاتلون ولا تجري عليهم أحكام الكفار .

ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم وعمان تعد من معاقل الإباضية، يحكمها حكام وسلاطين أو ولاة أباضيون إلا فترات يسيرة من التاريخ كانت فيها تحت سلطات إسلامية غير أباضية أو استعمارية، لكنها بقيت أباضية من حيث المعتقدات والسكان غالباً، ولا يزال لهم وجود في حضرموت واليمن . ولأباضية عمان امتداد في الساحل الشرقي للخليج جهة إيران حالياً)، والساحل الشرقي لأفريقيا في (زنجبار) ، أو (تنزانيا) كما تسمى حالياً. حيث إن سلاطينها أباضيون حتى بعد وجود الاستعمار، ويظهر أنه بعد الوجود الشيوعي في تنزانيا وضمها إلى تنجانيقا لم يعد للأباضية وجود كبير ، بسبب الاضطهاد الشيوعي الخانق .

(ب) المغرب العربي : انتقلت الإباضية إلى المغرب العربي في النصف الأول من القرن الثاني الهجري في آخر الدولة الأموية، وكان أول انتشارها بين قبائل البربر وأشهر مواطنهم في شمال أفريقية جبل نفوسة، وزوارة، ودمَّر، ونفزاوة بطرابلس في ليبيا، وفي جنوب الجزائر، خاصة وادي مزاب، غرب مدينة الجزائر العاصمة، على بعد ٤٠٠ كم، ولهم تمسك قوي بالإباضية . وفي تونس، خاصة جزيرة جربة، وفي واحات الصحراء المغربية، ولا يزال لهم وجود في تلك البلاد حالياً. وكان لهم امتداد فكري وعقدي غرب السودان؛ ومالي، والأندلس والمغرب . لكنه قليل . .

الفرق والطوائف المتأثرة بفكر الخوارج في العصر الحاضر: هناك أكثر من جماعة متأثرة بفكر الخوارج : كجماعة التكفير والهجرة ، والإخوان المسلمين والقاعدة وداعش والنصرة، وهذه الجماعات والأحزاب والطوائف قد وافقت الخوارج القدماء في بعض أصولها، ويمكن بيان أمثلة مختصرة دالة على ذلك فيما يلي :

أولا : موافقتهم الخوارج في التكفير بالذنب ، وما ترتب عليه من تكفير العلماء والحكام ، والطعن فيهم ، والخروج على السلطان: ومن الأمثلة على ذلك :

قال إمام بن عبد العزيز الشريف المعروف بسيد فضل وهو من القاعدة : (إن البلاد المحكومة بقوانين وضعية – كما هو الحال في شتى بلدان المسلمين اليوم – لها أحكام خطيرة يجب أن يعلمها كل مسلم ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيىَ من حيَّ عن بينة، ومن هذه الأحكام:

أ – أن حكام هذه البلاد كفار كفرًا أكبر خارجون من ملة الإسلام.

ب – أن قضاة هذه البلاد كفار كفرًا أكبر، وهذا يعني تحريم العمل بهذه المهنة.

ودليل كفر هؤلاء الحكام والقضاة هو قوله تعالى : {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ})

وجماعة التكفير والهجرة يكفرون كل من أرتكب كبيرة وأصر عليها ولم يتب منها ، وكذلك يكفرون الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاق ودون تفصيل ، ويكفرون المحكومين لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم أيضا بإطلاق ودون تفصيل ، أما العلماء فيكفروهم لأنهم لم يكفروا هؤلاء ولا أولئك، كما يكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله أو قبله ولم ينضم إلى جماعتهم ويبايع إمامهم ، أما من انضم إلى جماعتهم ثم تركها فهو مرتد حلال الدم ، وعلى ذلك فالجماعات الإسلامية إذا بلغتها دعوتهم ولم تبايع إمامهم فهي كافرة مارقة من الدين.

وكذلك الإخوان المسلمون يكفرون من لم يكن معهم قال علي عشماوي: (فمن أراد أن يلحق بنا فهو مسلم، ومن وقف ضدنا فقد حكم على نفسه بالكفر!. (التاريخ السري للإخوان المسلمين).

وقال المؤسس والمرشد الأول لجماعة الإخوان حسن البنا: وموقفنا من الدعوات المختلفة.. أن نزنها بميزان دعوتنا فما وافقها فمرحباً به ومن خالفها فنحن برآء منه!!. (مجموع رسائل البنا).

وكفّر المرشد الثاني الهضيبي ضباط الجيش المصري. (ذكره محمود عبد الحليم في كتابه (الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ)

وذكر سيد قطب في كتابه (ظلال القرآن) أن المجتمعات الإسلامية ارتدت، وأن ذاك المؤذن الذي يقول في أذانه: ‘‘الله أكبر الله أكبر’’ قد ارتد ورجع إلى الجاهلية الأولى.

ويقول علي عشماوي في كتابه (التنظيم السري لجماعة الإخوان المسلمين): كنت أعمل مع سيد قطب، فجاءت صلاة الجمعة، فرأيته لا يصلي مع المسلمين، فسألته: لمَ؟ قال: هذه التي تسميها مساجد، هي معابد الجاهلية!

وكان سيد قطب يقول عن ذبائح المسلمين: إنها بمنزلة ذبائح اليهود والنصارى).

ثانيا : موافقتهم الخوارج في تحريض الناس وتأليبهم على الخروج على حكام المسلمين ، واستباحة الدماء

قال حسن البنا : " نحن حرب على كل زعيم أو رئيس أو هيئة لا تستجيب لدعوتنا ... وستعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق "

وقال أسامة بن لادن : "كما نؤكد على الصادقين من المسلمين أنه يجب عليهم أن يتحركوا ويحرضوا ويجيشوا الأمة في مثل هذه الأحداث العظام والأجواء الساخنة لتحرر من عبودية هذه الأنظمة الحاكمة الظالمة المرتدة المستعبدة من أمريكا وليقيموا حكم الله في الأرض ، ومن أكثر المناطق تأهلا للتحرير ، الأردن والمغرب ونيجيريا وباكستان وبلاد الحرمين واليمن " ، وقال في شريط : " استعدوا للجهاد " : " ولا شك أن تحرير جزيرة العرب من المشركين هو كذلك فرض عين "

المصادر والمراجع

١-المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم . د. أحمد سردار محمد

٢-مقدمات في الفرق والافتراق . أ.د/ عبد القادر بن محمد عطا

٣-الافتراق . أ. د / ناصر بن عبد الكريم العقل .

٤-فرق معاصرة . د. غالب بن علي عواجي

٥-الخوارج . أ. د / ناصر بن عبد الكريم العقل .

٦-الخوارج . أ. د/ عارف السحيمي

٧-مقالات الإسلاميين . أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري

٨- الملل والنحل. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.

٩- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. طاهر بن محمد الإسفراييني

١٠- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية. عبد القاهر بن طاهر البغدادي التميمي